الحوار الحضاري
بين الأصولية الدينية
وسياسة الهيمنة الأمريكية

الحوار الحضاري
بين الأصولية الدينية
وسياسة الهيمنة الأمريكية

تأليف

د.حميد حمد السعدون

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: الحوار الحضاري بين الأصولية الدينية
سياسة الهيمنة الأمريكية
المؤلف: د. حميد حمد السعدون
صاحب الامتياز: محمد صادق الهاشمي
الطبعة: الأولى
عدد صفحات الكتاب: ١٤٤
الإخراج والمتابعة الفنية: علي حسين الهاشمي
عدد النسخ المطبوعة: ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: الساقي
تاريخ الإصدار: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

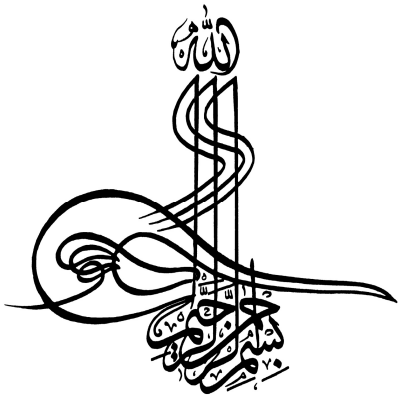
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لم يكن اعتباطاً استدعاء مفهوم (حوار الحضارات) في هذه اللحظة التاريخية بحيث اصبح مادة يومية عند كل المهتمين من الساسة والمفكرين، الا ضرورة استوجبتها الحياة الانسانية، فما يعرفه العالم اليوم من بؤر توتر تكاد تنذر بحرب عالمية ثالثة، خصوصاً مع التصعيد الهائل لموجة الاصولية عند اهل الشرق او اهل الغرب، قد بات امراً ملاحظاً ومؤشراً، الامر الذي يجعل من حوار الحضارات مطلباً اساسياً، مصدره الخوف والقلق، ليس فقط على مستقبل الشعوب والحضارات المستهدفة من قبل الحضارة الغربية المتفوقة علمياً وتكنلوجياً والمجهزة باحدث اسلحة التدمير، والحاملة لمشروع عولمتها التي لا تمثل في الواقع الا مشروعاً بسط هيمنته على الحضارات الاخرى، بل مصدره ايضاً الخوف والقلق من ان تتحول بعض اشكال الممانعة الثقافية والحضارية التي تبديها الكثير من الحضارات بوجه الحضارة الغربية الى مواجهة حقيقية مع ما يمكن ان تحمله تلك المواجهة من احداث مزيد من الشروخ والفجوات بينهما بسبب اصرار الحضارات المستهدفة في خصوصيتها ووجودها في الدفاع عن كينونتها وعن مشروعية اختلافها وتنوعها بعيداً عن اشكال الهيمنة والتبعية التي يمكن ان تجر اليها السياسات الدولية غير العادلة والاستراتيجيات الاقتصادية الشاملة التي ترسم، وليس في حساب

واضعيها الا تحقيق مصالح الاطراف المتحكمة في القرار السياسي والاقتصادي والمالي الدولي باكثر من شكل ووسيلة بما فيها تلك التي يفترض انها تمثل الشرعية الدولية.

هذا الخوف المشروع على الخصوصية الثقافية والحضارية والانسانية، صعد من وتائر التوتر والتأزم والذي ترجم في احيان كثيرة الى شكل عنيف ودموي، بل انه في احيان كثيرة، قد فهم ممن يلاقون ويلاته على انه محاولة، ان لم يكن حرباً منظمة للمسخ التاريخي والجغرافي والحضاري، تقوده اطراف ذات ارتباطات مريبة ومتداخلة مع بعضها، اي ان الفهم الذي تولد عند الشعوب الممارس ضدها العنف والقتل المتعمد، ان الطرف الاخر، قد صعد من اهدافه، بحيث انها انتقلت من حرب الافناء من الوجود الى حرب الالغاء من التاريخ والجغرافية والمستقبل الامر الذي سهل من مقبولية الخطاب الذي تقوده الاطراف المتشددة، خصوصاً ان الدلائل لا تحتاج الى تأشير، فما يحدث في فلسطين والعراق وافغانستان، هو جزء من مخطط اصولي واصولي متطرف، يقوده الطرف الاقوى على قهر المنافس.

وبهذا الاتجاه ولان الانسانية لا يمكن ان تعيش دائماً في ظل الخوف والرعب وفي ظل الحروب المعلنة والخفية، ولان لاسبيل للشعوب والحضارات المقهورة ان تواصل القبول بالظلم والقهر الواقعين عليها والذي يولد الاحساس بالاعداء ويوقد ناراً تقود فعل غير مدروسة، ولان لا سبيل للتقدم الانساني، ان يتحقق في ظل استفراد قوة واحدة ووحيدة بالعالم، بحكم ما توافر لديها من قوة وبطريقة غير مسبوقة في

التاريخ الانساني، فانه ليس من خيار امام جميع اطراف المجموعة الدولية، الا ان تبدأ صيغاً اخرى للتعايش وبسط الامن والاستقرار في العالم، والافادة من كل طاقات الشعوب والامم على اختلاف هوياتها ودياناتها ومستويات تطورها الحضاري، وذلك من خلال اقرار مبدأ الحوار الحضاري تحقيقاً للاهداف الانسانية التي يعج بها كوكبنا الارضي، مما يضيق ان لم يشطب كل ادعاءات الاصوليين - عند كل الاطراف - ويمكن العالم ان يحاصر كل سياسات الهيمنة التي يديمها الطرف الاقوى في هذه اللحظة من التاريخ الانساني.

الفصل الاول

مفهوم الحوار الحضاري

المبحث الاول

حوار الحضارات

في ظل متغيرات العصر الذي نعيشه والذي شهد انعطافات هائلة في جميع انشطة الحياة وبطريقة تكاد تكون احياناً انفجارية فأن مصطلح (حوار الحضارات) هو اكثر الاصطلحات المتداولة عمومية وضبابية وقد يكون اقلها جاذبية خصوصاً ان عصرنا هو اقرب الى القضايا المحددة التي تعبر عن شيء محسوس ومباشر في حين يبدو الحديث عن الحوار اشبه مايكون بشيء مرسوم في (اليوتوبيا) او انه شيء معلق ويبعد عنا بمسافات ا وان يكون تداول الحديث فيه مانعاً وعاماً.

مع ذلك فان الحوار الحضاري هو احد الجسور التي لخصت خلال عصور مختلفة، حاجات حقبة تاريخية طويلة تجسدت فيها امال المتحاورين وجهودهم التي تكون احياناً صامتة واخرى جهراء صريحة فالحوار لغة لها الف صلة تعبر فيها عن العلاقة مع ضمير البشر تسير مع تقدم وعيهم الى مستوى التأثير المباشر في كل مناحي وانشطة الحياة. واي حديث عن الحوار يعني حواراً مع منابع الحضارات مما يستوجب تجسيد في احداث الماضي والحاضر والمستقبل، لان ذلك الحوار هو مسيرة حضارية لعموم البشرية ظلت يقظة واعية ومستمرة برغم كل الصعوبات التي واجهتها. ولا يخفى ان هناك تطورات تاريخية تؤثر فينا اكثر مما تؤثر الاحداث اليومية،

ولا يمكن التعجيل في سيرها باصدار القرارات او البيانات بل ان هذه التطورات تنمو باسهامات عديدة وتحمل بين طياتها تجارب الاجيال المختلفة لتؤثر بدورها في مجرى التاريخ ومن هذه التطورات البطيئة تاريخ الحضارات المختلفة التي شهدها العالم.

فالحضارة - اي حضارة – هي نتائج تاريخ طويل لمن عاش في فترتها ا واسهم في تقدمها مما ينعكس في تطبع افراد وشعوب هذه الحضارات بتقاليدها القديمة وتطوراتها العديدة، والى جانب ذلك فان التفاوت هو الذي يغلب عند اندماج الحضارات بعضها مع بعض، وعليه فان يكون الحوار بين الحضارات سهلاً وطبيعياً ولمجرد الرغبة او الامر بذلك بل لابد من التحلي بالصبر والنظر الى الامور نظرة واقعية لان الاستعجال فيها سيولد اثراً عكسياً ويدفع بعضهم الى التمسك ببعض النرجسية التي تضر بهذا الحوار واهدافه.

ولذلك لم يكن بعيداً عن الدقة والصدق من قال انه (من سذاجة الاطفال ان نفترض ان العلم قد بدأ في بلاد الاغريق ن وان ما يسمى «المعجزة اليونانية» قد سبقتها الاف الجهود العلمية في وادي النيل وفي بلاد ما بين النهرين وان العلم اليوناني كان احيائاً اكثر منه اختراعاً[١]. كما انه يؤكد ان (مانتمتع به الان من حضارة انما جاء هدية من شعوب كثيرة[٢] مثل هذا الأمر يؤكد ان تفاعل الحضارات مع بعضها كان فعالاً وايجابياً مما اعطى البشرية قدراً كبيراً من الرصانة والتعمق في تاريخ هذه

١. جورج سارتون ـ تاريخ العلم ـ ج١ ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٣ ـ ص٢٠ ـ ٢١
٢. المصدر السابق ـ ص٤٥.

الحضارات وفعالياتها. وفي هذا الوقت وبحكم ماحدث من تطورات هائلة في ثورة المواصلات والأتصالات مع مارافقها من الهجرة المتبادلة بين ا لشعوب وقيام الكثير من الروابط الاقتصادية يؤكد ان التفاعل الايجابي يقدم دوماً حالة متقدمة عما سبقها.

ويبدي بعضهم تخوفاً من هذا التطور بحجة خطورة المواجهة بين الحضارات بما في ذلك الصدام العسكري الا ان تلك الخطورة لن تلغي الخيار الاساسي في هذا الجانب والمتمثل بحوار الحضارات لأنه مهما كان طريق الحوار صعباً وشاقاً فهو بالنتيجة الطريق السليم الذي يؤدي الى النجاح. ولابد من ان ندرك ان الحضارة ليست فقط اداة لأظهار الفوارق بل هي وسيلة تساعد على التفاهم والحوار مع العالم بكل اشكاله واطيافه لأن كل حضارة قامت اصلاً من اجل التعميم على كل الجنس البشري. فالحضارات تقوم على قوانين داخلة عامة قائمة في طبيعة الأنسان التي هي في الوقت نفسه طبيعة حضارية وكذلك على طبيعة المجتمعات، وعليه فالأستعداد للحوار الحضاري قائم في داحل الطبيعة الحضارية للأنسان وللمجتمعات البشرية، وهو استعداد عبر عن نفسه من خلال عناصر التشابه بين الحضارات ومن خلال الانتشار والتفاعل والتمثل للجديد والابداع. واذا كان نشوء الحضارات ذات الشخصية المتكاملة قد احتاج الى توافر من العوامل الموضوعية والذاتية فأن جميع الشعوب قد اسهمت في مسيرة الحضارة الانسانية[1].

فحوار الحضارات لم يعد ترفاً فكرياً يختص به العلماء والاكاديميون

١ـ د. الياس فرح ـ في الثقافة والحضارة ـ دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ١٩٨٧ ـ ص١٠.

ورجال الفكر المولعون بدراسة التاريخ والحضارة بل انه اصبح مدخلاً اساسياً لكل معالجة جادة للمجتمعات المختلفة ولفهم حركة التطور والتغيير التي يشهداها العالم كما انه شأن من شؤون السياسة والفكر والنضال حتى على مستوى المواطن العادي. وما نشهده من ازمات سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية في العالم الذي نعيش فيه انما مردها الى العوامل المعطلة للحوار الحضاري بين الشعوب والأمم المختلفة. واهم قاعدة في اعطاء الحوار الحضاري مزيداً من الرصانة والموضوعية والأهتمام تتلخص بارادة الاعتراف بالآخر وعلى الايمان بوحدة الانسانية مما يمكن الجميع من تملك كثيرمن الوعي والمعرفة والتدقيق بالماضي والحاضر مما يفتح الابواب على مستقبل واعد ومشترك، وحينما يتركز الوعي بضرورة الحوار الحضاري بصفته احد مستلزمات الوحدة الانسانية عندها تنضج نظرة جديدة الى التاريخ والى الانسان وبشكل علمي وحضاري.

واذا كان ابن خلدون قد اكد في مقدمته ان (المغلوب يقتدي بالغالب)[1]. في فترات الصراع وان للحضارات اعمار تبدأ بالشباب وتنتهي بالهرم وهذا ماتابعه عليه كانت وفيورباخ و ماركس وتوينبي فأن الحوار الحضاري يستند الى معايير بعيدة عن منطق القوة والغزو والهيمنة لأن الحضارة تتعرض للزوال والاندثار حينماتكون الحروب قانون الحياة الأساسي لكنها تتوهج اشعاعاً حينما يكون الدفاع عن الحوار دفاعاً عن

١. عبد الرحمن بن خلدون المقدمة ـ دار الفكر ـ تاريخ ومكان الطبع غير موجودين ـ ص١٢٥.

القيم الحضارية للأنسانية عموماً.

ان التيارات الفكرية والنظرية والاجتماعية النابعة من حضارة الغرب قد تلتقي مع حاجاتنا أو تختلف عنها، لكن الشيء الأهم هو الأعتراف المتبادل بالشخصية الحضارية لكل منهما وبأهمية الحوار الهادف الى تعزيز الفهم المتبادل ووضع الاختلاف في اطاره الموضوعي[1]، الا ان مايفعله الغرب بشكل دائم واعم انه لايقرن اي موضوعية او بعد حضاري لاية حضارة اذا لم تكن تطابقه او بالاحرى مستنسخة من تجربته ومتفاعلة في ضوء القوانين التي وضعها وارتكزت عليها تجربته. وما يفعله بذلك فهو الغاء ونفي للاخر وابعاد لاية بارقة امل في تنضيج وتفاعل الحوار الحضاري.

ان العلم يبدأ بالدهشة كما يقول - ارسطو - والحضارة تبدأ بالتحدي كما يقول - توينبي - والحوار يبدأ بالضرورة بالاعتراف المتبادل لاهميته وجدواه خصوصاً اننا نعيش عصر العلم والتقنيات الهائلة مما يؤكد اهمية العلاقة القائمة بين العلم والحضارة وبما يمكنها من ان تكون ثابتة بما يقدمه العلم من خدمة في مجال التطور الانساني وليس في مجا ل التطور لحضارة دون اخرى. فالعلم عام ولا يمكن ان نقفل عليه بصندوق محكوم فتحه بطلاسم من حكايا الجن والعفاريت ؛ فالعلم نشأ نتاجاً حضارياً وهو بمفهومه الواسع يكون بدء الحضارة واية اضافة او تطور في مجالات العلم الخاضع لخدمة الانسانية يستوجب ان تكون قناته الرئيسة الحوار الحضاري الخلاق الذي يطور الحضارة الانسانية عموماً.

١ـ د. الياس فرح ـ مصدر سابق ـ ص٢٤.

في ضوء ذلك فأننا نتعرض ازاء سرعة الابداعات والابتكارات التي يشهدها العالم بالتحول من نظام مبني على ما تختزنه العين من مشاهد بارزة وتكون رصيداً للشكل المؤسساتي الى نظام يهتم بالعلم والمعلومات اساساً مما يولد فجوات (حضارية) تكون خطرة على المجتمع البشري خصوصاً اذا تركنا اشكال افعالنا وتقويماتنا مرتبطة ومرهونة بما تقدمه لنا مؤسسة المعلومات من بيانات وايضاحات وهو مايسميه بعض من مفكري العلوم الاجتماعية بمصطلح (مابعد الحداثة) الذي يشير الى الابتعاد عن الانساق الفكرية الكلية للمجتمع الانساني والارتكاز على مفاهيم اخرى تمثل رؤية جديدة للعالم مثل الهندسة الاجتماعية للمجتمع باستخدام العلم والتقنية والهندسة الوراثية والجينات البشرية وخرائطها وغيرها من ابتكارات العصر واكتشافاته[1].

والحوار الحضاري مطلوب لادامة الحياة لكن انموذج ذلك الحوار الذي نرغب فيه لا يحدث الا بالاعتراف المتبادل والمحترم لكل الثقافات سواء كانت ثقافات عظمى ام صغرى لان كل الثقافات هي نتاج للتاريخ وهي من صنع الانسان بغض النظر عن لونه او حجمه لذلك تصبح الثقافات كنتاج للانسانية وليس لامة واحدة وفي انموذج الحوار لا تكون العلاقات بين الثقافات امرية او استكبارية كما هو الحال في انموذج الصدام الحضاري، بل تكون متعددة الاطراف من الاخذ والعطاء، ولعل في العلاقة التي قامت بين الفسلفة الاسلامية والفلسفات اليونانية

---

١. *Hartman , C & Vilanova . (Editors) paradigms lost . The post cold War Era . Pluto press . London* ١٩٩٢ . *P:* ٥٤.

والمسيحية واليهودية والقوطية، من جانب آخر، في شكل الانموذج الحضاري المطلوب، ابرز الامثلة واوضحها، بحيث دعت مفكراً مثل (روجية غارودي) ان يقول، اننا قرأنا الفكر الفلسفي اليوناني، ملحاقً بابداعات المفكرين المسلمين عن طريق كتابات – ابن رشد وابن سينا وابن خلدون - بحيث كانت الاضافة، ابداعاً اخر، اضيف الى ماهو متحقق. وشكلاً مع بعضهما نقلة متقدمة وخلاُّقة على ما سبقها من ابداع بل ان بعضهم يرى ان ذلك التلاقح الذي تحقق في المناخ الاندلسي قد مكّن من وضع نبيذ جديد في أوان قديمة[1].

ان انموذج الحوار الحضاري المطلوب يمكّن كل الثقافات المتساوية من ان تشارك في الاهداف المشتركة وان تتقاسم القانون نفسه على اساس من العقل والحق في المعرفة والطبيعة واستخدام قوانينها وحق الانسان والشعوب في الحرية والعدالة الاجتماعية والرفاهية بسبب ان الحضارة لا يمكن ان تكون خارج الانسان لان كل ماهو خارجه سواء كانت صروحاً ام تراثاً هي (آثار) للحضارة ودلائل على طريقها في حين ان كل جيل في كل مجتمع او في المجتمع الانساني الاعم يترك (آثاراً) تجسد الحضارة وتدل عليها وتحكي تاريخها ولا يمكن ان يكون ذلك التجسيد بشكله العميق وعلى وفق تطبيقاتة المختلفة الا بالحوار الحضاري.

صحيح ان لكل مجتمع حضارته المتميزة والتي يطلق عليها بعضهم (الخصوصية الحضارية) لكن كون جماعة من البشر تمثل مجتمعاً ذا

---

١. مجموعة مؤلفين . صراع الحضارات ام حوار الثقافات . تحرير . د. فخري لبيب . مطبوعات التضامن . القاهرة ١٩٩٧ . ص٥٨

خصائص حضارية متميزة لا يعني انه ليس جزءاً من وجود حركة المجتمع الانساني كله. اذ ان التمايز الحضاري لايعني ابداً انعزال هذه الحضارة عن حضارات الامم الاخرى، كما لا يعني ابداً ان لا تصب حضارة المجتمع في الرصيد الحضاري الانساني الذي تصب فيه حضارات المجتمعات الاخرى، وهذا الرصيد هو محصلة عطاء روافد الحضارات المتعددة، لان حضارة اي مجتمع، انما تثري نفسها بالاحتكاك والتفاعل مع الخصوصيات الحضارية للمجتمعات الاخرى وهو مايمكن تسميته بـ (التفاعل الحضاري) او (الاتصال الحضاري) او (الحوار الحضاري)[1].

ان الحوار يمثل الية ناجحة للتواصل الى توافق عالمي، يحرر العلاقات الدولية من الخلافات والصراعات الناجمة عن اختلاف التقانات، كما انه ضرورة استراتيجية يستخلص منه التعامل بعيداً عن الغرائز وكل انشطتها، التي هي بالنتيجة انشطة ذات بعد عنيف ومؤذي للطرف الاخر، ممن يحمل وجهة نظر مختلفة عما يقابله. كما انه ضرورة لبني البشر، دون ان يكون ذلك متأت لرغبة جامحة او لحاجة آنية، بقدر ماهو ضرورة حياتية عمقها وعينا وايماننا الديني والثقافي والانساني في المحيط الذي بلور مفاهيمنا.

---

١. المصدر السابق: ص١٧٤

المبحث الثاني

الاسلام والحوار

كان الاسلام منذ نزول الوحي على الرسول العظيم محمد ﷺ دين الحوار والاستفهام والدلالة الحية والعقلية في اي شكل حواري، بل ان اللغة القرآنية كانت اعجازاً في لغة الحوار، الجمت المشركين وجعلتهم حائرين في وصف تلك اللغة واعجازها برغم كل ملكاتهم اللغوية الكبيرة، حيث جاء في محكم كتابه الكريم ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتو بمثل هذا القرآن، لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[1]. فاللغة القرآنية اعجاز امام مناهضيها وفي الوقت نفسه جسر الحوار الاول للدين الاسلامي مع العالم، فبرغم كل كفر – فرعون – وتسلطه وتجبره، فأن االقرآن الكريم يقص علينا ان الله سبحانه وتعالى امر نبيه (موسى) عليه السلام الى سلوك الحوار معه عسى الله ان يهديه الى الطريق الحق،[2] احتراماً من الرب للانسان وعقله ومنهجية اختياراته في الحياة، والله في هذا المثل قد اوضح لنا اهمية (الكلمة) في تغيير القناعات حتى عند الاضداد. والكلمة هنا تعني الحوار والاخذ والعطاء واحترام الرأي الاخر حتى وان كانت درجة اختلافنا معه لا تحدها حدود.

١ـ سورة الاسراء: ٨٨

٢ـ سورة الاعراف: ١٠٣ ـ ١٠٧

كما ان الاسلام ومن خلال لغتة القرآنية الواضحة والدالة والحاسمة قد اوضح ان القناعات الدينية مرهونة بارادة الفرد ولا تلزمها اتجاهات امرية حيث يقول الله في محكم كتابه ﴿لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[1]، كما ان القرآن الكريم قد اوضح ان ايمان الناس بالاسلام، هو ايمان مترسخ على الحوار والقناعة الفردية وليس مستنداً الى اي شكل من اشكال القوة والاجبار كما تقول كتابات المنظرين الغربيين المعادين للاسلام وفي مقدمتهم ـ هانجنتون ـ حينما ادعوا ان الاسلام قد انتشر بحد السيف في حين ان القرآن الكريم يقول ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن﴾[2] فالاسلام انتشر بطريقتين، التحرير والتبشير، اذ لم يجر اجبار اي شعب على دخول الاسلام بما في ذلك دخول المسلمين شبه القارة الأيبيرية عام ٩٣ للهجرة، والذي بُني على دعوة الاندلسيين للمسلمين كي يحرروهم من الظلم والتعسف الذي يمارسه حكامهم عليهم، وبعد ان سمعوا بعدل الاسلام وانسانيته لانه لا يفرق بين الناس على اساس الوانهم او اجناسهم. فالاسلام يؤكد ايمانه بكل الديانات السماوية ويصونها ويحترمها ويقدس وجودها مؤكداً في ذلك تمسكه بالحقيقة على اطلاقها مادام ذلك الاطلاق حقيقة آلهية فقد جاء في محكم كتابه ﴿قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين

١ـ سورة البقرة: ٢٥٤
٢ـ سورة النحل: ١٢٥

احد منهم ونحن له مسلمون﴾[1]. من ذلك يتضح ان الاعتراف والاعتقاد الأسلامي برسالات الانبياء ممن سبقوا الرسول محمد ﷺ، هو جزء من الحوار الحضاري الراقي الذي يتطلع اليه الاسلام مع غيره من المؤمنين ماداموا يؤمنون بما جاء به انبياء الله ورسله وهي احد مكملات اسلام اي مسلم، ان لم يكن احد الشروط الضرورية لاتمام عقيدتة.

كما ان القرآن الكريم، يجيب بوضوح عن حرية الاعتقاد به وبما يدعي اليه، وبطريقة ديمقراطية - اذا استعملنا تعبيرات هذا العصر - حيث جاء فيه ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء ليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[2] مما يعني ان الاسلام قد اعطى اعداءه حرية الكفر به وعدم الاعتقاد بما يدعو اليه، وبطريقة حاسمة لانجدها عند الاديان السماوية الاخرى التي تكفر من يقول بعدم اهليتها وعدم الاعتقاد بها، ومايطرحه الاسلام حوار حضاري بطريقة ديمقراطية[3] وهو بلاشك نقيض ما انطوت عليه التجارب المسيحية مع المسلمين، حينما اجبرت الناس على (التنصر) أو الموت او مغادرة الأقليم في احسن الأحوال ولعل في تجارب الاندلس والفلبين والبلقان وبعض المناطق الأفريقية، ابرز الامثلة على مانقول يقابله مثل مناقض حينما التزم المسلمون بما جاء في القرآن الكريم بعدم اكراه الناس على الاسلام، والسماح لأهل الأديان الأخرى بالبقاء على دينهم وممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية.

١ـ سورة البقرة: ١٣٦.

٢ـ سورة الكهف: ٢٩

٣ـ عبد الرحمن حللي ـ حرية الاعتقاد في القرآن الكريم ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ٢٠٠٢ ص٨٩ وما بعدها

كما ان الحوار الذي اعتمده الاسلام، هو حوار راق وحضاري وانساني: حوار قام بين الله وانبيائه، وبين انبيائه ورسله وحواريه وبين الله والمؤمنين به. فعلاقة الله وانبيائه علاقة حوار لانجسر ان نصفها لانها فيض رباني اكبر من الكلمات والاوصاف. اما حوار الانبياءُ والرسل مع حواريهم واوصيائهم، فذلك مذكور في القرآن الكريم بأكثر من اية، حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء، قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين﴾[١]. ويقول سبحانه وتعالى ﴿واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزواً قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين﴾[٢] ويقول سبحانه وتعالى ﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾[٣]، وغيرها الكثير من الآيات القرآنية التي توضح احترام الله وانبيائه شكل الحوار والفهم المشترك مع اقرب الناس اليهم، ايمانا بالتوجه الالهي باحترام العقل الانساني في مايخص الوصول الى اية قناعة يكون جسرها الواصل الى الايمان هو الحوار المشترك. والاسلام كسر، بل ونبذ كل الوسائط او الموانع التي توضع بين الله والمؤمن به، والتي درج عليها بعض الاديان حينما جعل من بعض التراتيب الدينية سلماً ـ حاشا الله ـ الوصول اليه، وكأن تلك التراتيب من صنع الباري عز وجل. فالاسلام مباشر ولايتحمل اثقالاً في طريقة الايمان به وبالله، فالطريق بين المسلم والمؤمن وبين الله، مستقيمة، وحوار الله مع البشر حوار مباشر

١ـ سورة المائدة: ١١٢
٢ـ سورة البقرة: ٦٦
٣ـ سورة هود: ٤٢

تنظمه درجة الايمان والوعي بها، ولا تحددها محطات او قنوات فرعية، وهنا تكمن سلاسة الاسلام وشعبيته لأنه نظم العلاقة بين الله والفرد من دون وساطة او شفاعة الاخرين، حيث جاء في محكم كتابه الكريم ﴿قل لله الشفاعة جميعاً، له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون﴾[١]، أو ﴿واذا سألك عبادي عني فأني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان﴾[٢]، أو ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾[٣]، وجاء في القرآن الكريم ايضاً ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون﴾[٤]، أو﴿انني انا الله لا اله الا انا فأعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾[٥]، ويوضح القرآن الكريم شكل الايمان بالله بطريقة الحوار حيث يقول ﴿قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الأيمان في قلوبكم..﴾[٦]، كما ان الله سبحانه وتعالى يكون مباشراً مع عباده من دون اي اشكال التفافية مشاركاً مؤمنيه الآمهم وتطلعاتهم وبطريقة حاسمة حيث جاء في محكم كتابه ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير﴾[٧].

اذاً فالاسلام هو اكثر الديانات التي اكدت الحوار والقناعة المشتركة وهذا

---

١. سورة الزمر: ٤٤
٢. سورة البقرة: ١٨٦
٣. سورة الزمر: ٦٢
٤. سورة الانعام: ٣
٥. سورة طه: ١٣
٦. سورة الحجرات: ١٤
٧. سورة المجادلة: ١

مالاحظناه في ماسبق من آيات كما يمكن ان نلاحظ اهمية الحوار من التحية التي يستعملها المسلم مع اي شخص اخر، والقائلة بـ (السلام عليكم) فالسلام لغة حوار وقناعة وعقل وليست لغة عنف واجبار وتعسف. هذا غير ما حفل به القرآن الكريم من صور حوارية وبأشكال وبأوقات مختلفة كلها تنصب في النهاية بما يؤكد احترام الاسلام الرأي الآخر وصولاً الى القناعة المشتركة.

الاسلام هو اكثر الديانات التي أسيء فهمها وبتعمد وذلك عائد في تقديرنا لسببين: الاول: الاستحضار التاريخي لوقائع الحروب الصليبية والنتائج التي آلت اليها هذه الحروب والتي انتهت بهزيمة الغزاة والثاني: المرحلة الاستعمارية الحديثة التي رافقها بروز المطامع الصهيونية في فلسطين، فشنت حملة تضليل مبرمجة استخدمت فيها جهود غالبية المستشرقين والمراكز العلمية الجامعية في هذا الاتجاه بحيث كان العربي المسلم عند الغرب (سادياً، خؤوناً، تاجر رقيق، راكب جمال، صرافاً، وغداً، متعدد الظلال)[1]، كما ان (العرب اساساً قتلة، والعنف والخديعة محمولان في الموروثات العربية. وان منطقة الانتشار الاسلامي ليست مركزاً للانجازات الثقافية العظيمة ولايتحمل ان تغدو كذلك في المستقبل القريب)[2].

وبلا شك في ان ملاحظة هذه الاوصاف وذلك الخطاب الاستشراقي والاكاديمي، تؤكد مدى تأثر هذه الدراسات بالأدب والفكر الصهيوني بما

---

١. ادور سعيد ـ الاستشراق ـ ترجمة كمال ابو ديب ـ مؤسسة الابحاث العربية ـ بيروت ١٩٨١ ـ ص٦٨ وما بعدها.

٢. المصدر السابق ـ ص٦٨.

يخدم التوسع والهيمنة لكليهما في ضوء اهدافهما الاستراتيجية. وكلاهما – الصهيونية والغرب - اتكأ في فهمهما الاسلام على الماضي الذي مر به معهما، والذي انتهى لغير صالحمها وجعلاه هوية لكل شيء، بحيث اضاعا فيه قيمة الحياة ومعنى التاريخ والموضوعية والامانة العلمية. لكن ذلك لايلغي من بالنا، ان عداء الغرب للاسلام والامتناع عن اجراء الحوار الحضاري معه متأت من الدراسة السطحية له، وبعد اكتشافهم انه يتصل بالارومة الابراهيمية فقد خفت قليلا درجة العداء وان لم تتغير السلوكيات والافعال. وقد اوضح القرآن الكريم ذلك بقوله ﴿ماكان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾[١]، فالقرآن الكريم يعلن بكل وضوح انتماءه للديانة التوحيدية ولكن مع ذلك فأن علماء – الغرب – يرفضون تصنيف الاسلام في خانة المسيحية واليهودية نفسها. انهم يأنفون عن ذلك لكي لايتساوى الاسلام معهما. وهو استبعاد ايدلوجي وهذا ماكان بارزاً في الدراسات العلمية المكرسة في الغرب لخطاب الوحي الالهي فهي تستبعد القرآن من ساحتها وتركز جهودها على التوراة والأناجيل المتعددة وما جاء فيهما[٢]. اما افضل المدارس واقلها عدائية للاسلام فهي تلك التي تستند الى ماجاء في الكتاب المقدس بقول الله (وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها انا اباركه واثمره واكثرة كثيراً جداً – اثنى عشر رئيساً بل واجعله امة مباركة)[٣]، على اساس ان اسماعيل هو جد العرب الذي نزل الاسلام

١. سورة ال عمران . اية: ٦٧

٢. محمد اركون . اين هو الفكر الاسلامي المعاصر . ترجمة هاشم صالح . ط١ . دار الساقي . بيروت ١٩٩٣ . ص١٢٩

٣. الكتاب المقدس . سفر التكوين . الاصحاح السابع عشر: ٢٠

عليهم، وفاتهم ان كل الديانات السماوية المعترف بها قد نزلت في ارض العرب، سواء كان حاملها يهودياً أم نصرانيا أم مسلماً. وكان ابرز من يساند هذه الاتجاهات البابا (بولس السادس ١٨٩٧ – ١٩٧٨) الذي زار الارض المقدسة عام ١٩٦٤، ودعا الى تعميق الحوار مع الاسلام والانفتاح عليه[١].

وقد عقدت حوارات في هذا الاطار منها المؤتمر الاسلامي – المسيحي الاول الذي عقد في قرطبة عام ١٩٧٤ والثاني عام ١٩٧٧ في المدينة نفسها اللذان لم يستطيعا برغم بذل جهود نبيلة في ان يعبر بموقف المفهوم المسيحي بشكل ايجابي بالاسلام وبالرسول محمد ﷺ في النظرية نفسها والمواقف التي يراها الاسلام بعيسى بن مريم والمسيحية. وقد رافقت تلك المؤتمرات جلسات متعددة للمجتمع الكنسي الكاثوليكي لكن تلك الجلسات لم تحسم رأيها بشكل واضح في الاسلام وفي الرسول محمد ﷺ وتقر بالهية الرسالة الاسلامية برغم الجهود النبيلة التي قام بها ممثلوا الكنائس الكاثوليكية في الوطن العربي بهذا الاتجاه، لان بعضهم يرى في الاسلام «دين طبيعي» تكون خارج التراث اليهودي - المسيحي[٢].

لم تنقطع المؤتمرات المشتركة للحوار بين الاديان السماوية، بل انها ازدادت بعيد احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ادراكا من الجميع لأهمية اللقاء والحوار، وصولاً لنتائج وقناعات مشتركة تهدف الى نفع وخدمة عموم الجنس البشري، ونرى ان عدم فهم المسلمين والغرب لبعضهما، مع عدم اطلالة

١ـ اليكس جورافسكي ـ الاسلام والمسيحية ـ ترجمة د. خلف محمد الجراد ـ دار الفكر ـ دمشق ٢٠٠٠ ـ ص ١٢٥

٢ـ المصدر السابق ـ ص١٤٢

احدهما على الآخر، للتعرف والتفاعل، ومن ثم التصرف هو مايسميه اساتذة علم النفس «حصار المكان *Claustrophobia*» حيث يكون المتأثر به، ذا افكار غائمة ومعتمة. فضلاً عن ذلك، ان البعض من الطرفين يعجزون بالتفرقة بين (الحقيقة والخيال *Fact and Faction*) نتيجة تمترسهم عند تقولاتهم المتزمتة. لذلك فان (الحوار مطلوب ومهم، ليس لتوضيح ما غمض من امور العقيدة على الجانبين، وانما لبيان ان الاختلافات في جوهرها، انما تخص اشكال العبادة وطقوسها، وان ما تدعو اليه الكتب المقدسة، هو اجمالاً لا يتناقض ولا يتنافر، وان الحوار بين المسلمين والمسيحيين سيحقق افضل النتائج، اذ ينطلق الطرفان من خلفية ثقافية وحضارية واحدة، ويتكلمان لغة واحدة، كما تحثهما التعاليم الدينية، على المجادلة بالتي هي احسن)[1].

ويرى بعض المصنفين، ان من ابرز اسباب عداء الغرب للاسلام وصدودهم عنه، هو ادراكهم، ان الحضارة الغربية بحاجة الى دين يضع لها حدوداً حتى لا تنقلب الى فوضى ولا يوجد من يتصدى لتلك المهمة غير الاسلام، فهو دين الحضارة الذي يحدث توازناً في جميع انشطة الحياة، هذا عدا كونه علاجاً حاسماً لحالة التغريب والانخلاع التي يعيشها المجتمع الغربي[2]، لذلك فلا غرابة حينما يقول بعضهم، ان الاسلام هو الحضارة

١ـ ثروت قدسي ـ المسيحية والاسلام ـ دار البستاني ـ القاهرة ٢٠٠٦ ـ ص٨٣.

٢ـ مراد هوفمان ـ الاسلام في الالفية الثالثة: ديانة في صعود ـ تعريب عادل المعلم ويس ابراهيم ـ مكتبة الشروق ـ القاهرة ٢٠٠١ ـ ص١٦٠.

الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك[١]، وعليه فلن يكون من العدل، اتهام الثقافة الاورو ـ امريكية، ذات المدخل الاستعماري الجديد، بالعجز الكامل، عن ممارسة التسامح مع الاديان. ففي اوربا، كما في الولايات المتحدة الامريكية، يستطيع اي شخص، ان يتبع مرشده الروحي، او ان يمارس سحر الهنود الحمر، من دون ان يفقد عمله او تتعرض حياته للخطر، وما دام ليس هناك ما يمس العمل او المؤسسة السياسية، فلا ضرر من اتباع اية ديانة مهما كانت شاذة او غريبة، فكل ما يتعلق بالعقيدة، يعد من الامور الخاصة، لذلك فان الساحة الامريكية مثلاً، تعج با لعقائد الدينية والطبيعية الغريبة وغير المعروفة للكثيرين في العالم[٢] والقاعدة العامة في هذا الصدد، هي ان (كل شيء جائز) مع استثناء واحد فقط، هو الاسلام. فهو الدين الوحيد الذي لا يشمله هذا التسامح الجميل، والاسباب متنوعة ومعقدة، يرجع بعضها الى الحروب الدموية بين المسلمين والمسيحيين والصراع التجاري والسياسي على النفوذ والثروات، هذا غير ما يعج به المسرح السياسي الدولي من مشاكل عويصة، تقع اغلب احداثها في الاقليم الاسلامي[٣]، لقد ملأت

١ـ صموئيل هانتجتون ـ صدام الحضارات واعادة بناء النظام العلمي ـ ط١ ـ ترجمة مالك ابو شهيوة ومحمود محمد خلف ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ـ مصراتة / ليبيا ١٩٩٩ ـ ص٧٣.

٢ـ د. محمد عارف زكاء الله ـ الدين والسياسة في امريكا ـ ترجمة امل عيتاني ـ مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ـ بيروت ٢٠٠٧ ـ ص٣٥

٣ـ *Amanda porter feld ـ the transformation of American Religion ـ oxford University presszool, and: Wade Clark Roof ـ Spirtual Market place: Baby Booners and American Religion ـ puinceton University press* ٢٠٠١.

الحضارة الاسلامية التي تشن عليها في هذا الوقت حملة قاسية من قيادات العقل الاورو ـ امريكي، فراغاً هائلاً كانت الانسانية بحاجة اليه، حيث جعلت من نفسها شعلة للفكر الانساني - بعيدة ومخصبة الارث اليوناني، وذلك لغرض نقله وتمريره للقارة الاوربية، لذلك فان الاسلام لم يعطِ اوربا معارف جديدة وحسب بل أثر جوهرياً في طبيعة نمو العمليات الثقافية وتطورها وساعد على كثير من الحالات على تكون الوعي الذاتي الاوربي[1].

ومع كل ذلك فان صور العداء لم تتغير، وعليه فمن الوهم الاعتقاد وكون العالم اصبح (قرية كونية) في ظل ثورة الاتصالات والمواصلات واشكال العولمة وتفرعاتها، بأن الروح العدوانية عند العقل الاورو - امريكي ضد الاسلام قد خفت. ولعل في تجربة حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، أو في الحرب التي شنت ضد مسلمي البوسنة عام ١٩٩٢، أو في الحملة العسكرية على افغانستان عام ٢٠٠١، أو في عدوانها ضد العراق واحتلاله عام ٢٠٠٣، أو في تصعيد العداء وترسيخه ضد ماسموه الدول المارقة، أو دول - محور الشر - الا امثلة لاتحتاج لاستدلال.

وعليه فان روحية الحملات الصليبية نفسها ماتزال قائمة ضد المسلمين، واذا كان (البابا) قد تراجع عن تصدر التعبئة والحشد بتسيير هذه الحملات، فأن (مجلس الامن) او (الرئيس الامريكي) وبالاستعارة، بالامكان ان يكون - باباً - عالميا آخر. ولذلك فأن الوعي الغربي عموماً معاد للعروبة و الاسلام، ويسعى بجهد مكثف الى الفصل بين هذين المفهومين، فهو يدين الاسلام او

---

١. جورافسكي ـ مصدر سابق ـ ص٤٢.

يدين العروبة بحسب المخاطر التي يتصورها لكل من العنصرين وبحسب الظروف (مد قومي او مد اسلامي وضرب هذا بذاك) واحياناً كثيرة يدينهما مجتمعين، حتى ان لم تكن هناك صلة تستوجب هذه الادانة[1].

ان التوجه العدائي الذي سيطر على الغرب الاورو - امريكي ضد الاسلام، يؤكد انا مقبلون على صراع حضاري حاسم ومتعدد الاوجه، وفي هذا الاطار، علينا ان نفهم اسباب ودوافع الدعوة الامريكية الملحة بضرورة تغيير المناهج الدراسية في العالم الاسلامي، بأنها ليست دعوة نابعة من الادعاء الامريكي المروج له، بأهمية مواكبة هذه المناهج للتقدم الحاصل في حقول العلوم المختلفة، بل انها تهدف الى تبديل أو لالغاء الكثير من الثوابت التي تكون اساسياً في ايمان المسلم وعمله، وقطعاً ان مثل هذا الجهد لايخلو من اصابع صهيونية تستهدف الكثير.

ولذلك فان اهم خنادق دفاعنا في الحاضر وفي المستقبل ان نكون عرباً ومسلمين ووطنيين، فعنوان الوطنية الصادقة والقومية الثرة هي الخيمة الكبرى للجميع وعلينا ان نتمسك به، لأن الغرب وحضارته يحاولان ان يطوقا الاسلام العربي خصوصاً واجهاض اي مشروع نهضوي فيه لأنه اشعاع يؤدي وينهي مصالح الغرب في المنطقة، اضافة الى انه بثقافته وروحيته واستجابته وعمقه قادر على التكيف والابداع مع كل المحيطات خصوصاً ان منطقة قلب العالم التي هي محور صراع الاقوياء عبر التاريخ تقع في المنطقة العربية وتحوي ثروة المستقبل.

---

١. هشام جعيط ـ اوربا والاسلام صدام الثقافة والحداثة ـ ط٢ ـ دار الطليعة العربية ـ بيروت ـ آيار ٢٠٠١ ـ ص٦٨

الفصل الثاني
الاصولية الدينية والسياسية

المبحث الاول

الاصولية الاسلامية

منـذ مـدة ليـست بالقـصيرة ووسـائل الاعـلام ومراكـز البحـوث والدراسات الغربية خاصة، مشغولة للاخربسبر اغوار وابعاد ومـضامين مصطلح الاصولية «*Fundamentalism*»، بحيـث كـان الحاحهـا في هذا الجانب اكثر مما تستوجبه الحالة وزمانها. ازاء ذلك لابد لنا من مدخل اساسي وتوضيحي بخصوص هذا المفهوم ومعناه، عند الاديان الـسماوية الثلاثة، لكي نزيل الالتباس الحاصل في مدلولات المعنى، بسبب انعكاس ذلك تطبيقاً ومعناً، تبعاً للغة والدين والاقلـيم الجغـرافي الـذي يـتم فيـه استعمال هذا المفهوم، غايتنا في ذلك ابعاد اختلاط المعـاني والتوصـيفات، لكي لا يتم تعميمها بشكل لجوج قسرٍ، هادفين من ذلك ابعاد اسقاطات بعضهم في اللغة او الدين او المفهوم والمناخ السياسي، على العمـوم، وبـما يوقعنا في الوهم او الخطأ. لذلك فأنَّا نجد ان توضيح مفهوم «الاصـولية» في اللغة العربية وشكل استعمالها يجنبنا الخطأ والتعميم، ويوضح للمقابل حقيقة هذا المفهوم وابعاده، وبما يجنبه الزلل لغةً واستعمالاً.

فكلمة (اصولي) في اللغة العربية تعني شيئاً ايجابياً وهي مـأخوذة مـن الفعل «اصل ـ اصالة، كان له اصلاً، والجمع اصـول» والاصـول تعنـي

القوانين والقواعد التي يبنى عليها العلم[١]. والاصولية لغة، نسبةً من الجمع لاصول مفردها: أصل، والاصل في لسان العرب (أسفل كل شيء وجمعه اصول لايكسر على غير ذلك)[٢]. واصل الكلام، لغةً، اي ما يبتنى عليه غيره، وجمع أصل، اصول، بمعنى مبادئ. فالاصول والمباديء تتطابقان في المعنى «بالخلق وضع الله اصول جميع الاشياء العادية وغير العادية، بحيث يشتمل العالم على نظامه»[٣] وهذا يوضح لنا، ان مباديء خلق الوجود وهي اصوله، اي ان للعالم اصولاً مقررة تبعاً لما ارادها الخالق[٤]. وكلمة «اصولي» المستعملة في اللغة العربية وفي تراثهم الديني الاسلامي تحيلنا تأكيداً، الى تاريخ الفكر الاسلامي، حيث نشأت ادبيات الاصول: اصول الدين واصول الفقه، وهو عمل تأسيس مهم تطلب الكثير من الجهود والتأمل النظري[٥]. لذلك فأن الخطاب الذي تدعيه بعض الفرق التي تضفي على نفسها الاصالة في اسلاميتها، فأنها ترتكب نوعاً من المغالطة، حينما تريد ان تحتكر لنفسها ميزات الاصولية القديمة وهيبتها الدينية في الوقت الذي تجهل فيه هذه الاصولية ولا تعبأ بالعودة

---

١. ابو الفضل محمد بن كرم بن منظور ـ لسان العرب ـ ج ١٥ ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ ـ مادة: اصل

٢. المصدر السابق ـ مادة: أصل

٣. وهبة كرم واخرون ـ المعجم الفلسفي ـ ط ٢ ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ١٩٧١ مادة: اصل.

٤. د. حسين سعد ـ الاصولية الاسلامية العربية المعاصرة، بين النص الثابت والواقع المتغير ـ ط٢ ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ٢٠٠٦ ـ ص٣٤.

٥. محمد اركون ـ الحركات الاسلامية «قراءة اولية» مجلة الوحدة ـ السنة الثامنة ـ العدد (٩٦) ـ ايلول ١٩٩٢ ـ الرباط / المغرب ـ ص١٦.

اليها، او بالالتزام بمبادئها المنهجية ومقتضياتها المعرفية. ولعلنا نلمس ذلك واضحا بين ماكان يقوله الامام الشافعي (في الرسالة) او الامام الغزالي (في المستصفى) وهما اكثر من انشغل بأصول الدين والفقه، وبين الخطاب الممجوج الذي تعلنه بعض الفرق الاسلامية مدعيةً بامكاناتها وعلميتها في اصول الدين والفقه، خاصةً تلك الفرق الوافدة من تجارب اسلامية ـ خارج المحيط العربي ـ والحاملة معها تشنجها وتوترها وعلاقاتها مع مايحيط بها من فرق واديان اخرى، متذرعة بحرفية النص الموجود، سواء في القرآن الكريم ام في الاحاديث النبوية الشريفة. وفاتهم ان النص الحرفي في اللغة العربية، يجر وسط تراث ضخم من السنة والفقه والحديث والفلسفة، وحتى الادب، وهذه امور كلها، تساعد على فهم ابعاده، في حين ان الاقتصار في التفسير على النص الحرفي يعيق الكثير من اسباب الاجتهاد مع تطورالازمنة والعصو[1].

فالاصول، تعني اصول الدين او اصول مباديء الفرق الكلامية في النظرة الى العقائد الايجابية، لانها اصول علم الكلام، وهذا ماكان واضحاً عند «الشهرستاني» الذي يرى ان اهل الاصول، هم (المختلفون في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل). والاصوليون في تقديره، هم العلماء الذين يتقصدون معرفة الله ورسله والايمان بهم، بالنظر العقلي واقيسة الاستدلال والبرهان. كما يرد لفظ «اصول» عنده، بمعنى الاركان، وذلك في معرض الكلام على المختلفين في الاحكام

١ـ د. حميد حمد السعدون ـ الغرب والاسلام والصراع الحضاري ـ دار وائل للطباعة والنشر ـ عمان ٢٠٠٢ ص١٥١.

الشرعية والمسائل الاجتهادية[١].

ازاء ذلك يبدو الفرق واضحاً بين مفهوم الاصولية، كما هي حقيقته واستعماله في اللغة العربية، وبين هذا المفهوم (*Fundamentalism*) واستعمالاته في العقل الاورو ـ امريكي. حيث يتركز معنى هذا المفهوم في تلك المناخات بالعنف والقسوة والظلامية بل ان اي شكل من اشكال الارهاب الحاصلة عندهم لابد من ان تلصق به الاصولية، كأحد المرادفات التوصيفية له. علماً ان هذا المفهوم اطلق اولاً على فرق انجيلية برزت في مطلع القرن العشرين في الولايات المتحدة الامريكية، تدعو الى العودة الى أصول المسيحية والتمسك بالنص الحرفي، وكانت ممارساتها ذات منحى عنيف[٢]. كما ان استعمالات هذا المفهوم في اللغات اللاتينية، هو واحد تقريباً مع اختلافات قليلة في اللفظ. لذلك فمفهوم (*Fundamentalism*) كما هو متحقق في هذه اللغات، لايمكن تعميمه وتعميم استعمالاته ومعانيه على اللغات الحية الاخرى.

وعليه فأن الاصولية كما هو مستعمل وموصوف به بعض الممارسات في المجتمعات الغربية، غير موجود لافي اللغة العربية او معانيها، ولا في الممارسات الدينية التي يمارسها بعض من مدعي الاسلام لان اية ممارسة تنحى منحى العنف وينطبق عليها هذا الوصف، هي ارهاب بكل ماتعنيه هذه الكلمة، والارهاب بالتأكيد ليس وصفه اسلامية، انه صناعة عالمية،

١ـ ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ١ ـ تحقيق محمد رشيد كيلاني ـ دار صعب ـ بيروت ١٩٨٦ ـ ص١٩٨.

٢ـ د. حسين سعد ـ مصدر سابق ـ ص٣٥

حيث هناك الكثير من الارهاب المسيحي واليهودي والهندوسي والالحادي والعبثي، وهو بالنتيجة ممارسة ليس لها دين او وطن، بل انه احد نتائج الحراك الاجتماعي العنيفة، التي تمر بها كل مجتمعات الجنس البشري في اوقات مختلفة من حياتها ومراحل تكوينها.

والاسلام، منذ مبعث النبي محمد ﷺ لم يكن ديناً ذا توجهات عنيفة او انه يسلك طريق الاكراه على الاخرين، بقدر ما كان دين تسامح وسلام، وذا شكل انفتاحي وتفاعلي مع الاديان والثقافات الاخرى. وفي تجربة الاندلس، التي مكنت المسلمين من البقاء فيها ثمانية قرون، مؤشر على اتجاهين، الاول: امتناع المسلمين من اجبار الناس على اعتناق دينهم، يأخذهم في ذلك النص القرآني ﴿لا اكراه في الدين...﴾[1]

ولذلك بقيت شبه جزيرة ايبريا في اغلبها مسيحية، فمثلما دخلها المسلمون خرجوا منها، وهذه الحالة تنطبق على حالة الدولة العثمانية التي تواجدت بشكل فاعل في وسط وجنوبي اوربا لمدة اربعة قرون، ومع ذلك لم تجبر الناس على اعتناق الدين الاسلامي، والثاني: التفاعل والانفتاح والعطاء الذي قدمه الفكر والفقه الاسلامي، لعموم الفكر الانساني، حينما تفاعل مع الثقافات الاخرى، وفي نماذج (ابن رشد وابن حزم) واخرين كثيرين، امثلة على ذلك الثراء الذي يقاطع بشكل كامل مفهوم الاصولية (*Fundamentalism*) المتداول حالياً في مختلف مراكز البحوث ووسائل الاعلام الغربية. التي تحاول جاهدة الصاق الاصولية، وكأنها وصفة اسلامية.

---

١. سورة البقرة: اية ٢٥٦

كما ان تعبير الاصولية الاسلامية، اطلق على الحركات السياسية المعاصرة، ولم توصف به اية حركة او فرقة اسلامية قبل النصف الاول من القرن العشرين. كما ان توصيف هذه الحركات بالاصولية، جاء من خارجها، فهم لم يطلقوا على انفسهم هذا الاسم، ولم ترضى ان تتسمى به اية حركة من الحركات الاسلامية. اضافة الى ذلك فقد اطلق هذا الوصف على ظاهرة سياسية وثقافية منبثقة من مجتمعاتنا، وجاء هذا الوصف من خارج هذه المجتمعات وبأقلام والسنة اوربية وامريكية، التي تعاملت مع هذا الوصف كونه ذا مدلول خاص بهم، وارادت تعميميه، بحكم ان الغرب الاورور ـ امريكي ولاد للفكر والنظريات، مع ما يترافق في ذلك، نجاحهم في الترويج لافكارهم وقدرتهم الفائقة على تصديرها للاخرين. اي انه جرى نقل مضمون هذا المصطلح والمتبلور في سياق تلك المجتمعات الغربية، ليشير الى ظواهر وجدت لدينا وهي بعيدة تماماً عن السياق الغربي[1].

لذلك فأن استعمال مصطلح (*Fundamentalism*) في توصيف بعض الحركات الاسلامية من قبل العقل الاورو ـ امريكي، وبعض المتأوربين ليس صحيحاً، كون هذا الاستخدام لم يأت في سياقه السياسي والاجتماعي والثقافي الذي نشأ فيه هذا المصطلح، لان الاسلام وحركاته السياسية لم يعرف هذا المصطلح لا تاريخياً ولا شرائع او فقهاً، واي اتجاه مغالط عن الحقيقة، انا ينبيء عن تبعية فكرية، ان لم يكن احد اوجه

١ـ طارق البشري ـ عام صعب وعام اصعب ـ مجلة وجهات نظر ـ العدد (٤٩) فبراير ٢٠٠٣ ـ القاهرة ص٢٢

الاغتراب والتبعية الحضارية للانموذج الغربي[١].

كما ان الاصولية او المنهج الاصولي في الاسلام، يعني (القدرة على استنباط الجزيئات من خلال استثمار كليات الاصول التي حددها الشرع في الكتاب والسنة والتي بدونها لا تتحقق اسلامية الفرد او الجماعة الا بالعودة الى هذه الاصول والالتزام بها[٢]. لذلك فان الاصولية في الاسلام، تعني الالتزام في اصول الدين، والاصوليون هو العلماء المختصون باحكامه الفقهية في اطار ما تقضي به تلك الاصول، ومن ثم فأن الاصولية في الاسلام مصطلح محبب وايجابي، وليس ارهابياً. وتقديرنا ان السبب الذي دفع بالاوساط الاورو_ امريكية ان تتهم الاسلام السياسي بالاصولية، ان بعض نماذج الخطاب الاسلامي المعاصر، تحاول ان تقيم سورا نفسياً واجتماعياً يحجز بين المسلمين وسائر الناس، واقامة سور اخر يحجز بين المسلمين انفسهم، تحت لافتات ودعاوي ضيقة ومتزمتة ومتشددة، وفات على اصحاب تلك الدعاوي انهم يصدرون عن تصور خاطىء لمهمتهم وحدودها. فهم يتصورون انفسهم اوصياء على الدين وعلى الناس، وهم لذلك في خوف دائم مقيم، ان يؤدي التيسير على عباد الله الى الخروج على حدود الله وتكاليف الشريعة، وينسى اولئك انهم ليسوا الادعاة ومبلغين، وليسوا اوصياء على احد من الناس[٣].

---

١. د. حميد حمد السعدون ـ مصدر سابق ـ ص١٣٥

٢. عصام عامر ـ الاصولية والعنف والارهاب ـ دار الكلمة ـ القاهرة ٢٠٠٠ ـ ص٢٦.

٣. د. احمد كمال ابو المجد ـ حول الخطاب الديني المعاصر ـ مجلة وجهات نظر ـ العدد (٣٨) مارس ٢٠٠٢ ـ القاهرة ص٥

هذا الاتجاه، يدفع بالمسلمين للاسف على التقوقع داخل حوزات مغلقة، تحول دون تواصلهم مع غيرهم وتتركهم في عزلة تضربهم وبالناس اجمعين، وتمنح شرعية كاذبة للدعاوي التي تملأ الدنيا هذه الايام، زاعمة ان الاسلام يضع اتباعه في حالة (جهاد ديني مقدس) متواصل الحلقات، ضد من لا يدين بدينهم ولا يرى رأيهم، مما يسهل للالة الاعلامية الغربية، ان تصف الاسلام بالاصولية خصوصاً اذا توافر لها احد، ممن لا يقبل اي رأي مناقض لرأيه، زاعماً انه هو الاسلام الحقيقي وماعداه لاشيء، ناسياً ان تعدد الاراء واختلاف الثقافات في الاسلام نعمةً تستوجب الشكر ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾[1]. لأن من يتعارف على الناس، ويطلع على ثقافاتهم وتجاربهم، نعمةٌ اسبغها الله، على من يضطلع بها. كما ان الاسلام ليس استغلالاً للشعوب ولا استيطاناً للارض مثلما فعلها اخرون من اصحاب الديانات الاخرى، مع مايرافقها من عنف وقتل وتشريد، وفي نماذج الاستيطان التي حصلت في الولايات المتحدة الامريكية وفلسطين، نماذج لا تحتاج لاستدلال، انما هو رسالة توحيد وسلام، تحافظ على القوميات في اطار وحدة التوحيد، او هو وحدة عقائدية داخل التعدد القومي، وتلك عبقرية الاسلام وخلوده. ولعل صدى قول الامام (الشافعي) (رأينا صواباً يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب) اجمل مايرد عمن يصف الاسلام بالاصولية، وعمن يوافقه على ذلك الوصف الظالم.

---

١. سورة الحجرات ـ آية: ١٣

ان الاساس المرير بالتراجع السياسي، والاقتصادي والعسكري للشعوب الاسلامية المعاصرة، مع زيادة الضغط والظلم والاذلال والاهانة من قبل القوى النافذة والمهيمنة في العالم، اتجاه هذه الشعوب وقضاياها، قد دفع بعضهم، تحت وقع تلك الظروف، الى التورط في تحريض المسلمين، على مخاصمة الدنيا كلها، والدخول مع الناس «الاخرين» في معركة مواجهة عنيفة، ومثل هذا الاتجاه، انحراف صاروخ عن جادة الاسلام الصحيح مما اعطى المسوغ للقوى المعادية للاسلام، ان تطرحه كدين تحريضي على القتل والسلوك العنيف قصدهم بذلك تشويه صورة الاسلام امام العالم غير المسلم، لكي يتم تناوله بصورة هزلية وشنيعة للغاية. ولعل في حملة الصور الكاريكاتورية التي انطلقت من الدنمارك وشملت كل الدول الاوربية عام ٢٠٠٦، والمتضمنة الاساءة للرسول الكريم محمد ﷺ وللدين الاسلامي، الا صورة مشوهة وقاتمة في فهم الاخرين عن الاسلام ورسالته السماوية، مستغلين فعل (بعض) المسلمين المشوه ضد الاخرين، مما اعطاهم الحجة في ان يقولوا ماقالوه.

ان الاسلام دين متطور ومنفتح على كل الازمنة والعصور، وقادر بفقهه وشرائعه ان يواكب تغيرات الدنيا المتنوعة والمتعددة من دون ان يحبس نفسه داخل شرنقة ترتيبات وصياغات لا تواكب عصرنا وانسانه، خاصة بعد ان اتسع المجتمع الاسلامي وانتشر في كل اقطار العالم، الامر الذي يستدعي اعادة النظر في الكثير من المسلمات التي افتى بها الفقهاء لعصر سابق، ويقف في المقدمة من ذلك، فقه الشراكة والتعايش والاتصال والمصلحة بين ابناء الكوكب الارضي على اختلاف اديانهم ومذاهبهم.

المبحث الثاني

الاصولية اليهودية

حينما يجري البحث عن اية ظاهرة ذات عمق ديني وسياسي وذات حضور يومي، ولها من دلالات المعنى الشيء الكثير، خصوصاً في قدرتها على ما تشغله من حيز سياسي واعلامي في العالم، حينما يحدث ذلك لابد لأي باحث، ان يستنطق التاريخ مقلباً وباحثاً عن الدلالات والعلامات التي تأخذه لحقيقة تلك الظاهرة وابعادها، وعمقها التاريخي.

فالتاريخ اليهودي ابتداءاً منذ السبي البابلي وهذا ما تشير اليه اغلب الدراسات اليهودية، يمكن تقسيمه الى اربع مراحل رئيسية: المرحلة الاولى: وهي الخاصة بالحقبة البابلية، حينما جرى اسرهم، وفي خلالها كتب معظم العهد القديم. وبداية هذه المرحلة غير متفق على تحديدها، لكنها استمرت حتى القرن الخامس قبل الميلاد. وفي هذه المرحلة تبلورت خاصيتان عند اليهود، وهما انغلاق المجتمع اليهودي على نفسه. والتي عرفت لاحقاً تحت تسمية (الغيتو *Ghetto*) والانفصال اليهودي عن كل الامم الاخرى، وظهور مصطلح (الاغيار *Gentiles*) والمقصود به الاقوام الاخرى من غير اليهود، اما المرحلة الثانية: وهي التي يسميها اليهود بحقبة الهيكل الثاني، فقد بدأت منذ نهايات القرن الخامس قبل الميلاد، حينما اعادهم الفرس الى اورشليم بعد انتصارهم على بابل، حيث

امر ملك بابل الجديد الفارسي «سيروس» بتحرير اليهود فأمتدحوه كمحرر، وانشدو اناشيد الفرح واطلقوا عليه لقب «المعين من الرب» واستمرت هذه المرحلة، حتى تدمير الهيكل الثاني على ايدي الرومان عام (٧٠) للميلاد اما المرحلة الثالثة فاغلب الكتابات اليهودية تتفق على تحديدها بالعام (١٣٥) للميلاد، وهو تاريخ انتهاء التمردات اليهودية الكبرى ضد الامبراطورية الرومانية، وقد انتهت هذه الحقبة بظهور الدولة القومية، وعندها ساح وانتشر اليهود في معظم دول العالم بحيث انتهى نفوذ الحاخامات على المجتمع الداخلي لليهود. وعادة يشير الاصوليون اليهود الى الفترة الاخيرة من هذه المرحلة، على انها العصر الذهبي الذي يرغبون في نفخ روح الحياة منه. اما المرحلة الرابعة، فقد بدأت في بلدان مختلفة وبأزمنة مختلفة. توافقت في جهودها حتى تمكنت من عقد المؤتمر اليهودي في بازل عام ١٨٩٧، وفيها وبعدها، فقد انتقل الكثير من اليهود من عصور ماقبل المعاصرة الى الازمنة المعاصرة و بأشكال مختلفة ومؤثرة، كانت قمتها في اعلان دولة (اسرائيل) عام ١٩٤٨[١].

والملاحظة الجديرة بالاهتمام والرصد، ان اليهود ومنذ الحقبة البابلية: قد غلبت عليهم اشكال (الغيتو *Ghetto*) بحيث اصبحت معلماً من معالم الحياة اليهودية في مختلف بقاع العالم. والغيتو هو شكل من اشكال اليهودية الانعزالية وسط الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها[٢]. مما اثر

١ـ اسرائيل شاحاك ونورتون كتسفيتسكي ـ الاصولية اليهودية في اسرائيل ـ ترجمة ناصر عفيفي ـ مؤسسة روز اليوسف ـ القاهرة ٢٠٠١ ـ ص٧٨.

٢ـ د. رشاد الشامي ـ الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية ـ ط١ ـ دار الهلال ـ القاهرة ٢٠٠٢ ـ ص٣٧

وبشكل عميق في التوجه الديني اليهودي وبالاشكال السياسية الممارسة من قبلهم في حين يراه اخرون بانه يرمز الى النزعة الاستعبادية المتبادلة بين اليهود والمسيحين[1]. ولذلك فلا نبالغ حينما نقول ان الغيتو اليهودي في «اسرائيل» شكل موسع من غيتو اخر في مكان ما في زمان ما، انعكست كل مؤثراته السلبية حتى بعد قيام الدولة اليهودية في فلسطين عام ١٩٤٨. وعليه فأن الهواجس والخوف والعزلة والاستعلاء على الاخرين، دفعهم الى بناء الدولة بذهنية غيتويه، تراهن على القوة العسكرية، حتى امكن القول، ان (اسرائيل) هي غيتو مسلح. ولذلك فأن «بن غورين» رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق، حينما يقول لمحدثيه متباهياً بالنمط الديمقراطي الذي تتبناه «اسرائيل» { اننا نعيش في وسط من البرابرة } فهو يتكلم بعقله الباطني، المطبوع بما تلقاه من تعاليم ووصايا، وهو يعيش في احد احياء الغيتو اليهودي في وارشو، حتى وان كانت لغته واهدافه تتجه نحو اليمقراطية. كما ان هذا الغيتو، قد اوجد هوة في حقيقة الاندماج اليهودي في المجتمعات التي يعيشون فيها لانهم يعتقدون - على وفق نصوصهم التوراتية - كونهم غير منتمين لما حولهم بسبب تميزهم وتفردهم عن الاخرين، الذين يصفونهم بـ (الاغيار *Gentiles*) كما انهم يبتعدون عن الاختلاط لترفعهم، وبدلاً من ذلك فأنهم يؤسسون اشكالاً تحالفية وتعاقدية ونفعية، مع من يجدونه يخدم اهدافهم، على شكل تجمعات (*Lobbies*) وفي مختلف الصعد، وفي

---

١. عفيف فراج ـ اليهودية بين حضانة الشرق تاثقتفية وحضانة الغرب السياسية ـ ط١ ـ دار الاداب ـ بيروت ٢٠٠٢ ص٤٣.

الساحة الامريكية الانموذج البارز لتلك التحالفات التي طالت اعلى مقامات الادارة السياسية الامريكية.

ولذلك فان مصطلح الاصولية *Fundamentalism* في الفكر اليهودي يحيلنا الى توصيفه الحالي الذي تتداوله اوساط العقل الاورو ـ امريكي حيث ان بصمات التطرف والعنف والقسوة موجودة في كل قصص العهد القديم[١]، الغاية من ذلك تطهير كل الاراضي المقدسة اليهودية من الاغيار، وينسحب هذا الامر في ممارسة القسوة والعنف، على اليهود الذين يتعاونون او يعينون العدو ضد اليهود[٢]. ويعد اغتيال – اسحق رابين - رئيس وزراء الاسرائيلي الاسبق، على يد دارس للتلمود عام ١٩٩٥، مثالاً عصرياً على ذلك الاتجاه حيث يجد هذا الاغتيال مسوغاته الدينية في موقف اليهودية الاصولية من (المهرطقين) كونها تحث على معاملتهم، معاملة اسوء من تلك التي يعامل بها غير اليهود او اليهود الذين تحولوا الى دين اخر، وهناك سجل طويل لفتاوى حاخامات بتعذيب وقتل وايضاً التمثيل بجثث من يرونهم من المذنبين والمهرطقين[٣]. اما في ما يخص «الاغيار» فان العنف مفتوح معهم للاخر من دون ان يستثنى منهم عمراً او جنساً او قوماً، بل ان فتاوى الحاخامات

---

١. عمانوئيل هيمان ـ في عقر التطرف اليهودي ـ ترجمة سميرة دميان وفوزية ضرار ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ القاهرة ٢٠٠١ ـ ص٩٣

٢. عماد جاد ـ اكثر عنفاً ودموية وتطرفاً.. الاصولية اليهودية ـ مجلة وجهات نظر ـ العدد (٤٢) ـ يوليو ٢٠٠٢ ـ القاهرة ـ ص٢١

٣ ـ دومينيك فيدال ـ خطيئة اسرائيل الاصلية ـ ترجمة جبور الدويهي ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت ٢٠٠٢ ـ ص١١٧.

اليهود، اجازت قتل حتى الاطفال العرب، لانه ضروري لانقاذ حياة يهودية[١].

ويجد ذلك العنف المنطلق والمنفلت، حاضنته الفكرية، من خلال الكتابات التلمودية، التي اسست تنظيراً فكرياً ودينياً منح فاعله مباركة دينية مطلقة مستنداً الى قانونيين دينيين ن الاول: قانون المطارد والثاني: قانون الواشي الذين اجازرا لليهودي ممارسة القتل والعنف، حتى ضد اليهود، حينما يكون فعل الطرف الاخر، مؤذياً بحسب فتوى الحاخامات – للحياة اليهودية[٢]. وفي هذا الاطار فان الاصولية اليهودية، ترى ان منح الفلسطينين السلطة على اي جزء من الارض (التاريخية) لاسرائيل، يمكن تفسيره على انه عمل من اعمال «الوشاية» التي تستوجب القتل.

كما ان الاصولية اليهودية تنطلق من الايمان المطلق بالتمييز بين اليهود و «الاغيار» وهم حسب المفهوم اليهودي المطبوع بالانغلاق والتقوقع والترفع، يعملون على الدوام من اجل القضاء على اليهود، ولذلك فان اللافتة الدائمة التي ترفعها الاوساط اليهودية ضد كل من يختلف معهم ويفضح ممارستهم تندرج تحت مسمى «معاداة السامية» وكأنهم بذلك التوصيف الوحيدون من ابناء «سام»، وهو جهل استغلته الاصولية اليهودية عند الاقوام والشعوب الاخرى، بسبب ان العهد القديم، جرى تلطيف لغته حينما جرت ترجمته الى اللغات الاخرى، وعلى ايدي يهود اصوليين، من دون ان يشار الى ما فيه من عنف وقسوة، ووجود اقوام

١. عماد جاد ـ مصدر سابق ـ ص٢١.
٢. عمانوئيل هيمان ـ مصدر سابق ـ ص٩٨.

اخرى على المعمورة غير اليهود، بل ان اليهود تمكنوا في هذا الاتجاه ن من ترسيخ مقولة، ان الانبياء، يجب ان يكونوا من بني اسرائيل تحديداً من دون غيرهم من الاقوام، وكل خروج على هذه القاعدة، يجعل من اي دين، حالة طبيعية، وليست حالة ربانية، وهو ما اشاعوه عن الدين الاسلامي.

والغريب ان العقل الاورو ـ امريكي المسيحي - الصهيوني، ياخذ بهذه المقولة، مناقضاً ماجاء به الكتاب المقدس، بقول الله «واما اسماعيل، فقد سمعت لك فيه، ها انا اباركه واثمره واكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً، بل واجعله امة مباركة»[1]، وكأنه بذلك يريد ان يقفز فوق قناعاته الدينية – ان كانت له – لكي يبرر افعالة المتاقطعة مع ايمانة الديني، وفات الجميع ان كل الاديان السماوية، قد نزلت في ارض العرب، سواء اكان حاملها يهودياً ام نصرانياً ام مسلماً.

وقد وظفت اسرائيل «معاداة السامية» كنهج سياسي ثابت لها في كل المحافل، وعلى مستويين: الاول: استدرار العطف على سياساتها، تمهيداً لقبولها كأمر واقع، من خلال تذكير الجميع وبصورة مبالغ فيها، بما تعرض له اليهود من مذابح وتصفيات تحت عنوان «الهولوكست» والثاني: تطويق ومن ثم تصفية واقتلاع اية سياسة معارضة لاسرائيل وسياساتها، سواء اكانت على مستوى الدول ام الافراد. بل لا نبالغ حين نقول ان هذه اللافتة اطاحت بالكثيرين الذين تجرأوا وانتقدوا الممارسات «الاسرائيلية» في الاراضي الفلسطينية، بل اصبح الامر – وخاصة في

١. الكتاب المقدس ـ سفرا التكوين ـ الاصحاح السابع عشر: ٢٠.

الساحة الامريكية – بضرورة مباركة تلك الممارسات ودعمها، كونها اشتراطات اساسية لمن يبحث عن دور في الشأن العام والتقدم في سلم الادارة. كما ان ذلك يبعده عن الاتهام الجاهز «بمعاداة السامية» والويل لمن يعترض على وجهة النظر «الاسرائيلية» ويمسها، ولو مساً خفيفاً، سواء اكان مواطناً عادياً ام كاتباً ام مفكراً ام صحفياً ام عضواً في الكونغرس، اذ سرعان ماتجعله المنظمات اليهودية المتعددة يحس بشناعة ما ارتكبه من خطأ او خطيئة، اما في جيبه او في وظيفته او في مكانته او في حياته الخاصة، مع جاهزية شعار «معاداة السامية» لمن يستعصي عليهم، وهم قلة لا تعد.

كما ان الاصولية اليهودية *Fundamentalism*، وعلى وفق تميزهم عن الاخرين «الاغيار» لاتجد تناقضاً مع معتقداتها الدينية حينما «تطهر» الارض منهم، لانها تراهم، يعملون على الدوام من اجل القضاء على اليهود[1]. وهناك من تجاوز الموقف برمته، مشرعاً قتل «الاغيار» حتى لو كانو ابرياء، ولم يرتكبوا اي عمل عدائي ضد اليهود، بل ان احد الحاخامات، يجعل من «باروخ جولد شتاين» جزار مذبحة الحرم الابراهيمي، منفذاً دقيقاً لتعاليم الدين اليهودي. لان (قتل اليهود لغير اليهود لايعد جريمة تبعاً للديانة اليهودية، وان قتل العرب الابرياء بفرض الانتقاء يعد فضيلة يهودية)[2] وفي هذا الاطار، فأن السلطات الاسرائيسلية، تجدحاضنة فكرية اصولية متزمتة، حينما ترتكب المذابح

١. اسرائيل شاحاك ـ مصدر سابق ـ ص١٢٢
٢. عماد جاد ـ مصدر سابق ـ ص٢٠

بحق الشعب الفلسطيني، على اساس ان هذه الاعمال تأتي من منطلق تطهير الارض من الشيطان ومن الاثم الذي يغضب الله[١].

ان التعمق في دراسة الاصولية اليهودية، يكشف لنا عن جوانب غير مطروقة لمقولات تترتب على مسلمة ان اليهود (شعب الله المختار)، مما يؤكد يقينا بان هذا الدين، هو في مجمله اصولي، على وفق التوصيف الذي تسَّوقه الاداة الاعلامية والفكرية والبحثية للعقل الاورو ـ امريكي في الوقت الحاضر. فالتفكير الديني التوراتي، يؤكد (ان العالم خلق من اجل اليهود ووجود غير اليهود هو امر ثانوي... وان الفرق بين روح اليهود وارواح غير اليهود على مختلف المستويات، اكبر واعمق من الفرق بين روح الانسان وانفس البهائم)[٢]. الامر الذي يعيد تأكيداً قناعتنا، بان اليهود منذ تاريخهم القديم، دأبوا على استغلال الدين وتوظيفه بما يخدم اهواءهم واطماعهم، والامثلة على ذلك كثيرة جداً، وتمتليء بها اسفار العهد القديم، وابواب المشنا *Mishna*(*).

ان الحاضنة الفكرية التي تقدمتها كتب اليهود الدينية، لهم في ممارسة

١ـ دومينيك فيدال ـ مصدر سابق ـ ص٩٦

٢ـ شيفي راكلفسيكي ـ اليمين الديني الجديد في اسرائيل ـ ترجمة سليم سالم ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت ٢٠٠١ ـ ص١١٣.

(*) المنشا *Mishna*: كتاب تشريع وضعه الحكماء العائدون من السبي البابلي. وهو الاساس الذي تقوم عليه الديانة اليهودية. ويتألف من ستة اجزاء او كتب، يسمى كل منها، باسم مستقل: كتاب النساء، الزراعة الطهارة، الجنايات، الاعياد، المقدسات. ويضم كل كتاب ابواب متعددة تدور لشان الموضوع نفسه وينقسم كل باب على فصول متعددة ويشمل كل فصل على عدد من التشريعات.

العنف واقتلاع الاخرين، رافقتها طروحات فكرية يهودية عصرية، تأخذ بمبدأ العنف الى اقصاه، تحت حجج دينية وسياسية وحياتية، ولعل في ما قدمه العنصري اليهودي «جابوتنسكي» من اسهامة فكرية في طريقة التعامل مع الاخرين، وبالطريقة العنصرية والفاشية التي تحكمت في افكاره، والتي يعدها رئيس وزراء «اسرائيل» الاسبق (مناحيم بيغن) زاده اليومي، اساليب مكنت اليهود من مسايرة العصر وافكاره وبالطريقة التي تخدمهم وتخدم مصالحهم، خصوصاً، اذا رافقت تلك الافكار، وقائع سياسية يومية لاتخطئها العين، الامر الذي يجعل من اشكال الحل السلمي الذي ينادي به الاطراف، وهماً لا يقنع حتى قائليه.

فاليهود، وبشكل الممارسة اليومية وبرغم ضجيج الاعلام الموجه و المسوق لعملية التسوية، لم يلغوا من اجندتهم السياسية، فكرة امتلاك كامل الارض الفلسطينية. حتى وان تطلب الأمر ممارسة أي شكل من اشكال العنف او القتل المتعمد، تجاه الاخرين، مع الحماسة غير المنقطعة في امتلاك الارض واقامة المستوطنات والتي يعتبرونها قلاعاً للايديولوجية اليهودية مع مواصلة سياسة الترحيل والتهجير ازاء الساكنين الفلسطينيين، لغرض تغيير البنية الديموغرافية، حتى في الاراضي الفلسطينية التي احتلت بعد عدوان حزيران ١٩٦٧.

فضلاً عن ذلك ان الديانة اليهودية، وعلى اختلاف فرقها وطوائفها، قد غرقت في الاصولية *Fundamentlism* بطريقة كاملة، بل ان هذه الفرق، تتبارى مع بعضها عبر فتاوي حاخاماتها في تأصيل هذه الاصولية، من خلال اتكائها على ماجاء فيه العهد القديم من قسوة

وعنف اتجاه الاخرين، مع تسويقها الديني الجاهز، لأي فعل يعمله اليهودي ضد «الاغيا».

وقد اسست هذه الفرق الدينية، احزاباً سياسية لها في «اسرائيل» ابرزها (شاس) و (اسرائيل بيتنا) و (المفدال) و (يهود التوراة). يكونون مع بعضهم اكثر من ربع اعضاء الكنيست، مما لايبريء أي قرار سياسي اسرائيلي، وعلى اي صعيد، من نهجه الديني الاصولي. أي ان الشكل الاصولي، لما هو مطروح حالياً في العقل الاورو ـ امريكي، لاينفذه افراد او جماعات انما تنفذه دولة ذات قرار سياسي مؤثر في المحيط الاقليمي، فكيف اذا عرفنا ان هذه الدولة، هي «اسرائيل» بامكاناتها العلمية والتقنية والعسكرية الكبيرة، مع مايضاف اليها من الدعم والاسناد الامريكي المفتوح، هذا غير مع مايرافقها من دعم يهودي، حيثما كان اليهود متواجدين في العالم.

بل وصل الامر الى ان خطاب الكراهية، يضمن الفوز لأي حزب داخل اللعبة الديمقراطية المطبقة في «اسرائيل» فكيف الحال اذا كان هذا الخطاب، متعلقاً بالارض والارهاب والامن والمال، وان «لمكروهي» على الجانب الاخر من الحدود، مما يفسر فوز المستوطنين كأعضاء دائميين في الكنيست، الامر الذي يعكس تأثيره الحتمي في برامج الدولة وقراراتها، على الصعيدين الداخلي والخارجي. والمدقق في تركيبة اعضاء الكنيست «الاسرائيلي» يلمس بوضوح تصاعد نسبة عدد الاصوليين المتزمتين الفائزين بعضويته قياساً للاخرين. بل ان الحكومات «الاسرائيلية» المتعاقبة، لايمكنها الاستمرار دون دعم هذه الاحزاب الاصولية. وهذا

مابات واضحاً طوال وجود حكومات «بيغن ورابين وشامير وبيريز وشارون ونتنياهو واولمرت..».

مما اضفى الطابع الاصولي المتزمت في شكل ومضمون قرارات هذه الحكومات على كل الاصعدة، بحيث بات الامر، اشبه ان تكون حكومات دينية، بملابس عصرية. وقد تكرست، بل تجذرت جذور ودوافع العدوانية تجاه العرب، في الشخصية اليهودية «الاسرائيلية» بعد ان استدعوا لحاضرهم تقاليد الروح العدوانية في التراث الديني اليهودي والسلوك الصهيوني، خصوصاً وان مايلمسوه من رفض عربي حازم للوجود الصهيوني في اراضيهم، حالة واضحة لاتخطئها العين[1].

ان الأصولية *Fundamentlism*، التي الح العقل الاورو – امريكي، في الصاقها بالاسلام ديناً ومؤمنين لاتجد افضل من حاضنة فكرية وتأسيسية لها الا في اليهود، ديناً وافراداً. وفي هذا الجانب، وبعيداً عن حالات المسكنة والمظلومية، التي يطرحها اليهود عن انفسهم للعالم، لابد لكل باحث موضوعي، من دراسة كل ماله صلة بالديانة اليهودية، وتاريخ التجمعات اليهودية في شتى العالم ولاسيما تلك الخاصة بها، والتي اعطت الانموذج المتحقق لتأصيل النهج الاصولي في التعامل اليهودي مع «الاغيار» مستندة في ذلك الى تراث ديني يجيز، بل ويبارك تلك الاصولية على وفق الانموذج الذي يردده العقل الاورو - امريكي.

كما يصبح لازماً في البحث عن اصول وفكر وتاريخ الاصولية، العودة الى دراسة كل ماله علاقة بالشريعة اليهودية، لأنه من المؤكد ان

---

١. د. رشاد الشامي ـ مصدر سابق ـ ص١٧

هناك جوانب عديدة للاصولية اليهودية التي تجعل عنفها وارهابها، يفوق الذي ينسب لاصوليات اخرى. مع تأكيد ان يجري فهمها عبر الكتابات العبرية، وليس عبر تراجم للغات اخرى، فعبر اللغة العبرية، يكتب اليهود بدرجة اعلى من الحرية ويشرحون نصوصهم من دون موارية او تلطيف او تجميل حينما يقدمون بضاعتهم للآخرين.

ان اية دراسة للاصولية اليهودية، تكون ذات فائدة اكبر، ان كانت باللغة العبرية، لأن اي دارس من خارج الديانة اليهودية، ستواجهه مصاعب على جوانب مختلفة، اولها، اللغة، لكن مع اهمية هذه الملاحظة، فأن الفائدة لاتنتفي من وراء دراسات خارجية، اذا كانت موضوعية ونزيهة.

المبحث الثالث

الاصولية البروتستانتية

لقد كان لما سمي في حينه بثورة - الاصلاح الديني التي قادها القس «مارتن لوثر» ثم تابعها من بعده «جون كالفن» في القارة الاوروبية بداية بواكير القرن السادس عشر، اهمية كبيرة في النتائج التي انتهت اليها هذه الحركة الاصلاحية. فقبلها كانت اساسيات الدين المسيحي واحدة تقريباً، برغم تعدد الطوائف المؤمنة به، وبعدها اصبح الدين «المعدل» و «المفسر» و «المطبق» شيئاً آخر. وفي بحثنا موضوع الاصولية *Fundamentlism* الخاصة بالدين المسيحي، فأنا سنركز على هذه الاصولية على وفق المذهب البروتستانتي او مايسمى احيانا بالمذهب الانجلياني(*)، مهملين اية علاقة اصولية لطوائف الدين المسيحي الاخرى مثل الكاثوليك او الارثوذكس، لأن ذلك خارج بحثنا اولاً، ولأن الشكل السياسي للاصولية الدينية المطبقة والمعني بها البحث، تتركز في الولايات المتحدة الامريكية، ذات الاغلبية الانجليانية. لذلك فالاصلاح الديني الذي انفجر بين المسيحيين، محدثاً دوياً هائلاً، اعتمد في احد اصلاحاته المثيرة للجدل والتي تنافي روح الدين المسيحي واساسياته على

(*) المذهب الانجلياني: هو الايمان بعصمة التوراة وقبول السيد المسيح منقذاً، مع الايمان بقدومه الثاني. كما ان اقامة دولة «اسرائيل» هو اعظم حدث في التاريخ الحديث، ودليل على ان نبوءات العهد القديم التوراة صارت حقيقة.

شكل الدور الذي يقوم به العهد القديم «التوراة» حتى بعد مجيء السيد المسيح، فالبروتستانت عدوه المصدر الاساس لمعرفة التاريخ العام للبشرية، مما عني بداية عملية التغيير التاريخية لصالح اليهود، وبما انبثق في مابعد عن الصهيونية باشكالها المتعددة. ففي الوقت الذي كان التراث المسيحي، يقول ان الكنيسة هي الوريث المباشر للديانة العبرية والتي تشمل مملكة الرب الالفية، فأن الامور بعد حركة الاصلاح الديني تغيرت، حيث شاع القول، ان العصمة محددة بالكتاب المقدس وحده[1].

لقد شكلت الاتجاهات الصهيونية عصراً بارزاً في الحياة الثقافية والسياسية الامريكية منذ البدايات الاولى لاستيطان العالم الجديد، خلال النصف الثاني للقرن السابع عشر، والذي عرف لاحقاً بأسم- الولايات المتحدة الامريكية[2]، كما ارتبطت افكار «شعب الله المختار» و «أرض الميعاد» و «وعد الله» بالمهاجرين البروتستانت البيوريتاتيين الاوائل الذين هاجروا للعالم الجديد، من اجل استعماره. لذا اصطبغت هذه النزعة البروتستانتية، بصبغة يهودية، وانبثق مع هذا اللاهوت البروتستانتي البيوريتاني، مسيحية صهيونية امريكية، قبل صهيونية «هرتزل» بحدود القرن من السنين، وهذا التراث رفد الثقافة والسياسة في الولايات المتحدة الامريكية بأعتقاد «الالتزام» باقامة «اسرائيل» و «عودة اليهود»

١ـ غريس هارسن ـ يد الله ـ ط١ ـ ترجمة محمد السماك ـ دار الشروق ـ القاهرة ٢٠٠٠ ـ ص٦١

٢ـ يوسف الحسن ـ البعد الديني في السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٩٠ ـ ص٣٧.

والانحياز لهم كألتزام لاهوتي وثقافي ومن ثم سياسي[١].

فحركة الاصلاح البروتستانتي البيوريتاني، هو الرحم الذي خرجت منه الصهيونية «اليهود المسيحي» بل أنها اصبحت عصب الايمان البروتستانتي المبني والمرتكز على العهد القديم «التوراة» وبما مكنها من ان تكون اهم مكونات الثقافة الشعبية الامريكية، وباتت فكرة الوطن القومي اليهودي فلي فلسطين، جزءاً مهماً وعقيدة دينية في الثقافة الامريكية[٢]، الذي تبنى اصولية مسيحية أقرب ماتكون الى الاصولية اليهودية. ومع تفاعل الحركة البروتستانتية في المجتمع المدني الامريكي، تمخض عن المذهب البروتستانتي مايعرف بأسم الصهيونية المسيحية الاصولية، التي هي مجموعة من المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين المسيحيين، وخاصة قيادات واتباع الكنائس البروتستانتية، ترمي الى تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين، بوصفها حقاً تاريخياً ودينيا لليهود، ودعمها بكل الامكانات المتاحة والمتوفرة التي تساعد وتسهل في عودة اليهود الى الارض الموعودة - فلسطين - هي برهان على صدق التوراة وعلى اكتمال الزمن وعودة السيد المسيح الثانية[٣].

فالصهيونية المسيحية، وهي تحديداً المنتشرة في الاصولية الانجيلية، وبشكل خاص في جميع فرق وفئات البروتستانت المتعددة، ترى في العهد القديم، المصدر الوحيد للاجتهاد، ولأستنباط الاحكام والفلسفة

---

١. رضا هلال ـ المسيح اليهودي ونهاية العالم ـ ط ١ ـ مكتبة الشرق ـ القاهرة ٢٠٠١ ـ ص٩٥
٢. المصدر السابق ـ ص٩٧
٣. يوسف الحسن ـ مصدر سابق ـ ص١٢

الدينيتين، كما ان هذه الفرق، حولت العهد القديم من كتاب ديني، الى كتاب سياسي، يقوم على قاعدة العهد الالهي بالارض المقدسة للشعب اليهودي المختار[١].

لذلك تسربت الى صميم العقيدة المسيحية، ادبيات يهودية، تبنتها الفرق البروتستانتية جميعاً، كونت مكونات اساسية للتطابق الحاصل في فهم الاصولية الدينية والسياسية *Fundamentlism* وفقاً لما يطرحه اليهود المتطرفون وبين ماتطرحه فرق البروتستانت، بحيث بدا ان لافرق واضحاً فيما بينهما. وقد تركزت هذه الادبيات بشأن الامور التالية:

الاول: ان اليهود هم شعب الله المختار، وانهم يكونون ازاء ذلك الامة المفضلة على كل الامم.

الثاني: ان ثمة ميثاقاً آلهياً يربط اليهود بالارض المقدسة في فلسطين، وان هذا الميثاق الذي اعطاه الله لابراهيم هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

الثالث: ربط الايمان المسيحي بعودة السيد المسيح، بقيام دولة صهيون اي بأعادة تجمع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم[٢].

هذه الامور جرت تغذية العقيدة المسيحية البروتستانتية بها، بحيث اصبح الايمان بمساعدة اليهود في اقامة دولة في فلسطين، نوعا من العبادة التي تعبر عن المشاركة الانسانية في تحقيق الارادة الالهية، وهي مايطلق

١ـ محمد السماك ـ الاصولية الانجيلية ـ ط١ ـ مركز دراسات العالم الاسلامي ـ مصر ١٩٩١ ـ ص٤٠

٢ـ المصدر السابق ـ ص٣٦

عليها الصهيونية المسيحية، التي تربط الدين بالقومية والتي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية بحت. هذه الادبيات الدينية الكنسية البروتستانتنية، عدتها الصهيونية المسيحية، قاعدتها العقائدية والسياسية في كل اشكال الدعم المقدم للحلم الصهيوني في اقامة دولة «اسرائيل». بل ان هناك، وتحديداً في كل الطقوس الكنسية البروتستانتية المعمول بها في الولايات المتحدة الامريكية، اعتقاداً دينياً يجري تعميقه وترسيخه في الضمير الديني الامريكي – مفاده ان الله يعاقب من يسيىء الى «اسرائيل» ويحسن الى من يساعدها، وانه ببركة دعم الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل، تتنزل بركات الله على الشعب الامريكي رزقاً وخيراً وامناً وسلاماً[1]

لذلك وازاء الهجرة الواسعة والمتزامنة نحو العالم الجديد، والتي قام بها اليهود والبروتستانت المضطهدون في القارة الاوربية والذين تعرضوا للقتل والتضييق والطرد، مضافا اليهم السجناء والباحثين عن المال او المغامرة، وايضا كل من وجد ان قوته العضلية قد تكسب موقعاً او مالاً او جاهاً، هذا الخليط الذي تشارك في اقتحام الطريق الصعب، جعل من الجميع اصدقاء في المصالح والامال والنفوذ، وهذا ماتحقق لاحقاً في القارة الجديدة، حينما تكفلت رصاصات رعاة البقر، سواء كان مطلقها يؤمن بشكل حقيقي، بالتطبيق الديني الذي قدمته له الكنيسة البروتستانتية التي بدأت تنتشر في الارض الجديدة، ام انه احد الباحثين

١ـ *Gersham Goremberg . the end of days: Fundamentlism and the Struggle for the temple Mount . Free Press ٢٠٠٠ . P: ١٦٢ .*

عن الثروة والمال، ام انه احد القتلة الذين تكيفوا مع الحالة الجديدة التي واجهوها في عالمهم الجديد، ذلك الرصاص، وجد دعمه الديني والسياسي والاخلاقي في ماتقدمه الكنائس البروتستانتية من وعظ وارشاد وتوجيه ديني، يسوغ ويسوق ذلك العنف الذي تفجر ضد سكان القارة الاصليين من الهنود الحمر، بأنه ضرورة دينية لتنظيف القارة الجديدة من كل المعوقات المعطلة للتقدم وفي المقدمة منها، شعب القارة الامريكية الذين تعرضوا لأبادة جماعية، بحجة رسالة الرجل الابيض، مما وضح بشكل جلي شكل الاصولية الدينية *Fundamentlism* المطبقة على وفق التصور الديني البروتستانتي ازاء الاقوام الاخرى التي تختلف معهم في المكونات الحضارية.

وتقديرنا ان ذلك يناقض رسالة السيد المسيح الا ان ذلك ماحدث، مسوغين وبشكل قسري ماجرى، انه جاء على وفق مباركة الكنيسة وبعلمها، وعلى وفق الشروح الجديدة التي جاءت بعد الاصلاح الديني، لما جاء في الكتاب المقدس، وبما يلائم ممارسة العنف ازاء الاخرين. ولأن الولايات المتحدة الامريكية دولة مهاجرين ـ واسرائيل مشابهة لها ـ لذلك فالعنف المتولد من المهاجر اتجاه الساكن الحقيق يكون متطرفاً وقاسياً، بل انه اشبه بالفاشية الدينية، ولو قارنا اشكال الاصولية *Fundamentlism* في ازمانها المختلفة، لوجدنا انها في النهاية تنتهي لنتيجة واحدة، وهو ماحدث في الولايات المتحدة الامريكية «الانجيلية» ويحدث في «اسرائيل» الصهيونية. فبدلاً من رصاص بنادق رعاة البقر، حلت قنابل الليزر والقنابل الذكية، وبدلاً من الاستيطان بالطرد للهنود

الحمر، حلت البلدوزرات والشفلات لتوسيع الاستيطان والامساك بالارض، وبدلا من شريف المدينة في الغرب الامريكي، حل جنرال بخمس نجوم، وهكذا... بل يمكننا ان نلاحظ من نتائج الاوضاع الناشئة بعد ١١ ايلول / سبتمبر ٢٠٠١، رفع أي ضوابط صغيرة، ربما كانت الولايات المتحدة الامريكية، تضعها على ممارسات السياسة «الاسرائيلي». ولذلك فأن اي مراقب للشأن العام في امنطقة، يرى بوضوح ان «اسرائيل» مصممة على تسريع الاستيلاء على الارض العربية، و مايرافق ذلك من طرد للاسر العربية التي عاشت هناك منذ اجيال، هذا غير مصادرة الاراضي والمزارع والحقول، وفي مثال تشييد الجدار العازل الذي اقامه «شارون» لفصل الضفة الغربية عن الاراضي الفلسطينية، وما يرافقه من مصادرة للاراضي والممتلكات، في ظل سكوت وصمت امريكي مطبق، بل انه وصل الى التنديد بأجراءات محكمة العدل الدولية التي اخذت على عاتقها الافتاء بعدم قانونية اقامة مثل هذا الجدار في اراضي الدول المتحاددة، مع مايسببه من خرق للقانون الدولي الخاص والعام. مايحدث يأتي في ظل اسناد ودعم سياسة القوة والعنف التي يمارسها الصهاينة ويقبلها الامريكان كوجبة اساسية لمكونات معتقداتهم، صحيح انها سياسة غير شرعية على الاطلاق، ولكنها من وجهة النظر الاصولية الصهيونية سياسة يجيزها «الرب» الذي وعد اليهود بالسيطرة على الارض!!!

اذاً فالاصولية، على وفق التطبيق والقبول هي واحدة، برغم اختلاف الزمان، لانها متأتية من منبع واحد، يرتكز على الامكانية والقدرة في

ممارسة العنف ضد الاخرين، وبأي شكل من دون النظر او الالتفات الى مايعيق مثل هذه المهمة التي يحتاج اليها ممارسها للاستمرار والديمومة، وفي ذلك توافق تام وتطابق بين الصهاينة والبروتستانت ولا يفوتنا ان نشير الى ان اتساع رقعة العنف، جاء مدعوماً بالمال اليهودي والاحتكاري، الذي وجدها فرصة، لتنمية رأس المال الموظف، بما يوسع من اشكال الثروة والنفوذ والهيمنة، خصوصا ان من يتلقى الرصاص هو غير من يتلقى السبائك الذهبية، لذلك فان حجم المخاطرة قليل، قياسا بالمؤمل من حجم الثروة والنفوذ.

وفي الولايات المتحدة الامريكية، ذات الاغلبية البروتستانتية، يوجد اكثر من (٢٠٠) طائفة بروتستانتية. هذا الفرق على اشكال وانماط متعددة وابرز هذه الطوائف المسيحيون المولودون من جديد *born again christians* التي يتركز ايمانها على مسلمة اساسية، هي ان غرض الله لن يتحقق الا اذا عاد اليهود الى ارض الميعاد (فلسطين) واقاموا فيها مملكة اسرائيل اليهودية الخالصة، التي لايشاركهم فيها او يقيم على ارضها كمواطن من مواطنيها احد من غير اليهود[1] ولذلك علينا ان نفهم السكوت الامريكي على اقامة المزيد من المستوطنات في الاراضي الفلسطينية على وفق هذا التصور الديني المنتشر بين الفرق الانجليانية، لانة جزء من معتقدات دينية راسخة.

وتشارك بالاتجاه نفسه الكنيسة المورمونية «*Mormon*» التي اسسها القس «جوزف سميث» التي تتبنى نظرية البعث اليهودي في

١ـ شفيق مقار ـ قراءة سياسية التوراة ـ دار رياض الرئيس للكتب ـ بيروت ١٩٨٨ ـ ص١١٨

فلسطين، وتقوم تعاليمها على الاعتقاد بان لله برنامجين وشعبين يتعامل معها، وان اسرائيل مملكة الله على الارض وان الكنيسة المسيحية هي مملكة الله في السماء[١].

اما اكثر الفرق مغالاة في تبني العقيدة الصهيونية، واكثرها تأثيرا وعدداً ونفوذاً على الساحة الامريكية، فهي الطائفة «التدبيرية» *Indispensationalism* والتي تعرف احياناً بأسم «الانجلو ساكسون البروتستانت البيض» *White Anglo ـ saxon protestaut* تختصر بـ (*W.A.S.P*) فهي تضم الشخصيات الابرز في المجتمع الامريكي سياسياً واقتصادياً وتربوياً واعلامياً وعسكريا[٢]. وتؤمن هذه المجموعة الدينية، بأن ارادة الله متمثلة بقيام «اسرائيل» وان الله يساعد من يساعدها ويعادي من يعاديها وان قيام اسرائيل يؤكد توافر الشرط الذي طال انتظاره من اجل العودة الثانية للمسيح، وبالتالي فأن الدفاع عن اسرائيل، هو عمل ديني يتعلق بثوابت ايمانية، وليس مجرد موقف سياسي يتأثر بالمتغيرات من الاحداث، وهذا مايحاول صانع القرار السياسي العربي تجاهله متعمداً، متكئاً على حزمة من الشعارات البالية، في تسويغ الدعم والاسناد الامريكي لاسرائيل، في حين ان الامريكان يرون وجود اسرائيل تجلياً الهياً وتجسيداً لنعمة من اجل خلاص بني البشر[٣]، ولذلك فأن اي عنف او ممارسة او ردع يقوم به الاسرائيليون تجاه الاخرين،

١ـ محمد السماك ـ مصدر سابق ـ ص٦٦

٢ـ محمد السماك ـ المسيحية الصهيونية في امريكا ـ مجلة وجهات نظر ـ العدد (٤١) يونية ٢٠٠٢ ـ القاهرة ـ ص٢٩

٣ـ المصدر السابق ـ ص٣٠

مسوغ لأن ذلك مقبول مادام يطابق الثوابت الدينية التي يؤمن بها البروتستانت الامريكيون، وعليه فان شكل الاصولية العنيفة التي تمارس ضد الفلسطينيين، مسوغة الهياً ولا داعي للتأفف والشكوى والتذمر مما يحصل!!!

وفي ضوء هذه التجليات الدينية المفرطة في تسويغ العنف تجاه الآخرين، ومادام ذلك متسقاً والثوابت الدينية التي تقدمها الكنيسة البروتستانتية لمريديها فأن جميع القوانين الوضعية التي وضعها بنو البشر لتنظيم العلاقة فيما بينهم سواءاً بين الدول ام المنظمات الدولية، لاينطبق على «اسرائيل» لأنها تختلف عن كل الكيانات السياسية الاخرى في العالم من حيث ان وجودها هو تجسيد لأرادة الهية وليس استجابة لحاجة انسانية[1]. ومن هنا فأن حكومات اسرائيل ايا كان رئيسها في حل ليس فقط من قرارات الامم المتحدة التي قبلتها وارتضت التعامل بها، بل انها في حل حتى من أي اتفاق عقدته حكومة اسرائيلية سابقة اذا تبين ان هذا الاتفاق يناقض مصالح «شعب الله المختار» ودلائل المشاهد اليومية التي تقدمها الحكومة الاسرائيلية منذ عهد بن غوريون حتى الان، دلائل حية على مانقول، وفي الوقت نفسه فان الصمت الامريكي الرسمي والشعبي عما يحدث من ممارسة اصولية متزمة وعدوانية من قبل الاسرائيليين تجاه الشعب الفلسطيني، هو نفسه منذ ايام ترومان حتى هذه اللحظة مما يؤكد التطابق والتماثل الذي يحكم التوجه الديني للصهيونية – المسيحية بنسختها البروتستانتية.

---

١. يوسف الحسن ـ مصدر سابق ـ ص٢٠ وما بعدها

ومن الدلائل الحية، غير القابلة للتأويل في شكل الاصولية *Fundamentlism* التي تمارسها الاوساط الصهيونية والبروتستانتية موضوع اسلحة الدمار الشامل ذلك الموضوع الذي جعلته الولايات المتحدة الامريكية، شعارها الرئيس في القرن الواحد والعشرين، بحيث تمكنت تحت هذه اللافتة من اشراك جهدها العسكري الكبير في تطويق هذا الانتشار، ولعل في تجربة العدوان الامريكي على العراق في آذار / مارس ٢٠٠٣، ابرز المشاهد الحية في المعالجة الامريكية «الانتقائية» لهذا الامر. او في التهديد باستعمال القوة العسكرية واصدار الكثير من قرارات الحصار والتضييق ضد دول تعتقدها الولايات المتحدة الامريكية تشكل تهديداً وخطراً على الوضع الاقليمي والدولي، كحال ايران وسوريا وكوريا الشمالية، لسعيها في التعامل مع هذه التقنيات التسليحية المتقدمة، لأن المطلوب وفقاً للتصور الامريكي، ان تعلن هذه الدول اما عدم امتلاكها لهذه الاسلحة، او الغاء مثل هذه المشاريع، او في وضعها تحت الرقابة الدولية، بحيث بدا أن الضغط الامريكي، قد حقق مراده، يوم سلمت ليبيا كل معداتها الخاصة بهذا السلاح في مشهد تلفزيوني اراده الامريكان، ان يكون مثيراً، او في اتفاقهم المتعثر مع كوريا الشمالية، الذي يراوح بين مد وجزر تبعاً لحالة الطرفين وقدرتهم في التأثير في الاوضاع المحيطة بهما في دائرة الصراع.

الا ان ذلك الاجماع والحماس الامريكي في اخلاء منطقة الشرق الاوسط من اسلحة الدمار الشامل، استثنى «اسرائيل» من اي لوم او مسألة او تفتيش او رقابة. ولذلك ظلت «اسرائيل» مالكة لجميع اصناف

اسلحة الدمار الشامل (نووي وكيمياوي وبيلوجي) والسبب في ذلك، وعلى وفق التراث المسيحي البروتستانتي، ان انتاج هذه الاسلحة في اسرائيل، يتطلب خلق الظروف المواتية لاستعمال هذه الاسلحة في المكان الذي تحدده النبوءات في سهل مجيدو، الذي يقع بين الجليل والضفة الغربية، مما يتسبب في مجزرة «هرمجيدون»(*) التي تستعمل فيها الاسلحة المدمرة (كيمياوية ونووية... الخ). مما يهيىء الظروف للظهور الثاني للمسيح، وفي ذلك تطابق وتكامل مع ماجاءت به التفسيرات التي قدمها القسس البروتستانت، على وفق ايمانهم المطلق بما جاء به العهد القديم من نبوءات واسفار، كتبها الاحبار اليهود في بابل اثناء اسرهم فيها، وهو تأكيد حاسم على ان الاصولية *Fundamentlism* المروج لها حاليا في وسائل الاعلام الغربية، هي اصولية مسيحية - يهودية لايمكن ان تنطبق على اي احد اخر غيرهم.

من ذلك يتبين بوضوح ان الاصولية الانجيلية لاتقتصر على مجرد تقديم تفسيرات معينة لمفاهيم دينية محددة، بل انها تحاول ان تقدم صورة للمستقبل على وفق هذه التفسيرات وعلى قاعدتها. وعليه وبحكم الموقع المؤثر الذي تحتله في صناعة القرار السياسي الامريكي، والذي هو في الوقت الحالي من يؤثر ويتحكم في مصير العالم ومقدراته، فقد بات من

(*) هرمجيدون: معركة نووية يعتقد الانجيليون المتهودون انها ستقع في سهل مجيدو. وان التنبوء بها ورد في اسفار حزقيال ويوحنا ويوشع، وهي تقول ان قوات الكفار من المسلمين والملحدين سوف تدمر فيها، الى ان يظهر المسيح فوق ارض المعركة، ويرفع بالجسد المؤمنين به ويخلصهم من الدمار، ومن ثم يحكم العالم مدة الف عام حتى تقوم الساعة.

اللازم مراقبة دورها المتنامي. فمثلاً، ان قرار الكونغرس الامريكي بمجلسيه في ٢٤ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٩٥، والخاص باعتبار مدينة القدس، عاصمة ابدية لاسرائيل، لم تستوجبه مصالح امريكية، او انه يقع ضمن اطار حركة السياسة الخارجية الامريكية الخاصة لمنطقة الشرق الاوسط، بل انه جاء على وفق معتقدات دينية اصولية ولذلك بات على السياسة الامريكية ان تتكيف معه وان تعيد النظر في سلوكها على وفق مقتضيات الالتزام به كمعطى الهي مقدس. وبلا شك ان مثل هذا القرار وغيره من القرارات، كالافراط في استعمال حق النقض (*Veto*) في مجلس الامن الدولي، ازاء اي قرار يدين «اسرائيل» او في الشراكة الاستراتيجية التي تعتبرها، أحد مسلمات الامن القومي الامريكي، مايؤكد التواصل بين التفسير الصهيوني لما جاء به العهد القديم والذي تعتمده جميع فرق وفئات البروتستانت في الولايات المتحدة الامريكية، والقرار السياسي الامريكي في الشرق الاوسط، مما يدلل مدى

قدرة الحركة الاصولية على التأثير في صناعة القرار الامريكي، وتوجيهه بما يخدم القرار «الاسرائيلي» اقليميا ودولياً.

ولذلك، وفي ضوء هذه المرتكزات الدينية، ذات التأثير الطاغي في الشكل التنفيذي للسياسة الخارجية الامريكية، فان من السذاجة، اتهام الادارة الامريكية - اياً كان الحزب الحاكم - بممارسة ازدواجية المعايير، سواء بالنسبة للتعامل مع القرارات الدولية ام اقامة المستوطنات او انتهاكات حقوق الانسان ام احتلال اراضي الغير، ذلك ان «اسرائيل» هي في الاساس خارج هذه المعايير، وفوق الانظمة والقوانين، لانها في

الايمان الامريكي، تجسيد لارادة الهية مقدسة. وأي مس بهـا هـو انتهـاك للمحرمات وتحد للمشيئة الربانية، مثلما تقـول الكنيـسة البروتـستانتية في تعاليمها ووعظها، أي بمعنى انها «انسجام كامل مع الذات».

ان الاختراق الصهيوني للمسيحية، وتحديـداً الطائفـة البروتـستانتية، والمدعوم من اكبر البيوتات المالية في العالم دعماً واسناداً وتمـويلاً وانفاقـاً، مع البهرجة والاثارة التي تقدمها وسائل الاعلام النافذة والقوية في العالم الجديد، والتي يسيطر عليها اليهود قد تحقق مـن خـلال اخـتراق الـدين كمنهج يطبقه الانسان، او التطبيق البشري للدين، وفكرة هذا الاختراق، ان المسيحيين المتصهينين، في الولايات المتحدة الامريكية، قد تبنـوا فكـرة وجود «اسرائيل» على اساس انها تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس.

ولقد حدث هذا الاختراق بذكاء شديد، لكي تتبنى الكنيـسة، فكـرة الدولة الصهيونية والمرفوضة تماما من الكتاب المقدس، حيث يحول هـذا الاختراق المسيحية الى طائفة يهودية ظهـرت كأحـد الطوائـف في القـرن الاول، وتعود الى الدين الاصـلي في نهايـة التـاريخ، هـذا فـضلاً عـلى ان اليهود سوف يقبلون من الله برغم رفضهم المسيح ورسالته، وذلـك بعـد عودة المسيح الثانية[١]. مثل هذا الطرح يناقض تماماً كل التعاليم المـسيحية التي تؤكد ان باب التوبـة، سـيغلق ولا يقبـل احـد، بعـد المجـيء الثـاني للمسيح، كما ان الكتاب المقدس يوضح ان لامجال لليهـود في العـودة الى الله، الا بعودتهم كأفراد واعترافهم بالمسيح[٢].

١ـ د. حميد حمد السعدون ـ الغرب... ـ مصدر سابق ـ ص٥٥

٢ـ غريس هالسل ـ النبوءة والسياسة ـ ترجمة محمد السماك ـ منشورات الدعوة الاسلامية ـ مالطا ١٩٨٩ ـ ص٦١

صحيح ان الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية وكذلك بعض الكنائس الانجيلية تعارض عمليات التهويد العقائدي والسياسي، وتعدها تشويهاً للمسيحية الحقيقية، وتضليلاً للمؤمنين بها، مثلما يحدث في الولايات المتحدة الامريكية، لكنه لاسباب سياسية واقتصادية ودينية وشخصية، اتجه اغلب الكنائس الانجيلية لاعتبار «اسرائيل» احد مكملات الايمان المسيحي في انتظار العودة الثانية للمسيح. وما نعتقده انه اضافة الى الاسباب التي تقدمها الاصولية *Fundamentlism* في اشكال الدعم للطرح والمفهوم الصهيوني، فانه لم يتبلور في الولايات المتحدة الامريكية مجتمع يتجاوز عتبة المعاشر المتباينة ولا مفهوم امة لها تقاليدها المشتركة وتاريخها الحضاري وتاريخها العريق[1].

ولا يفوتنا ان نؤكد ان فكرة حكم المسيح العالم لألف عام بعد مجزرة «هرمجيدون» فكرة لاسند حقيقياً لها من الكتاب المقدس، هذا غير كونها فكرة غير حضارية، لانها تتسم بالعنصرية، ولا تتفق مع رسالة المسيح واتجاهه العام.

١ـ هادي العلوي ـ في مقدمته لكتاب الاستاذ حسن الكرباسي ـ مطالعات في الكتب المقدسة ـ ط١ ـ دار الكنوز الادبية ـ بيروت ١٩٩٥ ـ ص١٦

الفصل الثالث

المشروع الامبراطوري الامريكي

المبحث الاول

الهيمنة والقوة

بعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية بالنتائج التي آلت اليها، والتي تمخضت عن ظهور معسكرين احدهما شرقي يقوده الاتحاد السوفيتي والاخر غربي تقوده الولايات المتحدة الامريكية، سيطر التنافس ثنائي القطبية (*Bipolar system*) من اجل السيادة العالمية على السنوات الخمسين الفاصلة بين منتصف القرن العشرين ونهايته، استخدم فيها الطرفان كل اساليب وادوات الصراع التي تمكنهما من ادامة هيمنتهما على المسرح الدولي خصوصاً ان ذلك المسرح شهد العديد من التوترات التي كادت تؤدي الى مواجهة مدمرة بين القطبين، وقد (اضفى التقاء المدى الجيبولوتيكي العالمي والكونية المنسوبة الى المذهبين المتنافسين ضراوة لامثيل لها على عملية التنافس لكن عاملاً اضافياً آخر - مشبعا هو ايضا بالايماءات العالمية - هو الذي جعل التنافس فريداً حقاً. اشار ظهور الاسلحة النووية الى ان وقوع حرب من النوع الكلاسيكي بين المتنافسين الرئيسيين لن يعني دمارهما المشترك فحسب، بل انه من شأنه ان يترك عواقب مميتة بجزء كبير من الانسانية، وهكذا اخضعت ضراوة المنافسة في الوقت ذاته الى انضباط ذاتي خارق من جانب كل من المتنافسين[1] الا ان ذلك الوضع الثنائي في

---

١. زبغنيو بريجنسكي. رقعة الشطرنج الكبرى. ترجمة امل الشرق. ط ١. الاهلية للنشر والتوزيع. المملكة الاردنية تاهتشمية، عمان ١٩٩٩. ص ١٨

المنافسة قد افسح المجال لقوة جديدة في العالم وهي الولايات المتحدة الامريكية لتنفرد بالهيمنة على السيادة العالمية بما يمكن ان نسميه بالمركز احادي القطبية *(Unipolar)* بعد ان سقط الاتحاد السوفيتي وتشظى لدول ودويلات في نهاية عام ١٩٩١ ازاء عدم قدرته على المنافسة المؤثرة لافي النمو الاقتصادي ولا في التكنولوجيا العسكرية (وقد سبب التعفن الاقتصادي تفسخاً ايدولوجيا حتى عند المستويات القيادية، حيث استنزفت التعقيدات الايديولوجية التي وضعها كرادلة الارثودوكسية الشيوعية، القدرة الابداعية للاتحاد السوفيتي جاعلة من النظام القائم يزداد تصلباً ومن اقتصاده يزداد هدراً، مع قصوره عن التنافس في مجال التقنية الحديثة اضافة الى النقد المتصاعد للأيدلوجية الماركسية - الليلينية وقيمتها في مايخص الديمقراطية وحقوق الانسان والتطور والتقدم[١]. ماحصل في نهاية عام ١٩٩١ والذي انتهى بتشظي وانفجار الامبراطورية السوفيتية كون غرابة في تتبع اضمحلال القوى العظمى، فهذه الامبراطورية لم تسقط جراء هزيمةعسكرية مباشرة بقدر ماتدحرجت جراء التآكل الذي عجلت به الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والمعرفية الامر الذي يدفعنا الى القول، ان الامبراطوريات بهذا المعنى الذي كان عليه الاتحاد السوفيتي سابقاً، لا تسقط، بل تتساقط ويتم ذلك عادة بشكل بطيء جداً كما حصل في وضع الامبراطورية العثمانية، او يحدث احياناً بسرعة استثنائية كما حصل في حال الاتحاد السوفيتي السابق، بحيث كان الزمن الذي جرى فيه التأسيس لايوافق او يقارن مثيله في حالة

١ـ د. حميد حمد السعدون ـ فوضوية النظام العالمي الجديد ـ دار الطليعة العربية ـ عمان ٢٠٠١ ـ ص ٢٤

السقوط بالرغم من ان المعني حالة واحدة، وهي امبراطورية عالمية القوة والنفوذ.

انهيار الطرف المنافس وضع الولايات المتحدة الامريكية في موضع فريد ومتميز حيث منحها التفرد بالقوة العالمية الوحيدة واصبحت امبراطورية عسكرية عالمية بشكل مستحدث، وليس على طريقة الامبراطوريات السابقة. امبراطورية الولايات المتحدة الامريكية تكمن في تفردها بالتأثير المباشر في كل القرارات والشؤون العالمية مع انصياع الاغلبية الدولية لما تريده واشنطن، بحيث ان التوافق الدولي لرغبتها اوحى بحقيقة وجود تراتيب مايسمى بالنظام العالمي الجديد، وهذا التوافق الحديث لايختلف في معناه المجازي عما كان عليه التأسيس الامبراطوري القديم في تحقيق النفوذ من خلال هرم من التوابع والوكلاء والمحميات والمستعمرات.

لذلك فأن مفهوم الاحادية القطبية، هو سيطرة دولة عظمى واحدة، على باقي وحدات المجتمع الدولي، على نحو هرمي، وانفرادها في التحكم في السياسة الدولية، دون ان تظهر دول اخرى لها قدرتها في منافستها على مركزها نتيجة لاحتكار القوة المنفردة لهيكل القوة الثلاثي: الاقتصادي والتكنولوجي والعسكري على نحو تتميز به عن سواها من الدول[1]، في

١ـ هذه العناصر الثلاث هي مايطلق عليه (توفلر): المعرفة والثروة والعنف، اذ تعني المعرفة بالتكنولوجيا والثروة بالاقتصاد والعنف يشير للقوة العسكرية. يراجع: الفن توفلر: تحول السلطة: المعرفة والثروة والعنف في بداية القرن الحادي والعشرين ـ ترجمة حافظ الجمالي واسعد صقر ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ١٩٩١.

حين يرى البعض ذلك المفهوم بأنه وصف لدولة تتمكن من ان تتجاوز الدول الاخرى بحجمها ومداها ورقعتها ورسالتها في العالم، فدولة من هذا النوع، تتصف بسعة مصالحها وتعهداتها وشعورها العالي بأنها ممهورة برسالة كونية[١].

واليوم يبدو النفوذ العالمي الامريكي واضحاً دون لبس. فالولايات المتحدة اقوى دولة برية وبحرية وجوية، كما ان تحكمها بالبحار والمحيطات والفضاء، أمر طاغ، وتلك أول مرة منذ زمن الامبراطورية الرومانية، تكتشف فيها دولة من الدول، انها تفردت بالقوة وحدها. ومع ادراك ان التفرد الامريكي بالقوة الآن اوسع وأخطر مما كان متوافرا لأي قيصر روماني بحكم النطاق الجغرافي للصراع، وما وفره العلم من مستدحثات هائلة وغير مطروقة، مما اعطى الارجحية للولايات المتحدة الامريكية، من حكم الدنيا بقاراتها ومحيطاتها وفضائها الكوني، وهو وضع غير مسبوق[٢]. يرافق ذلك ماتملكه من اقتصاد كبير ومؤثر في مجمل حركة الاقتصاد العالمي، هذا غير مامتوافر من قاعدة علمية وتقنية واعلامية، قادرة على احداث التغيير الذي تريده، بحيث بدت قوة كاسحة «*Hyper Power*» على المسرح السياسي الدولي، وهذا ما بات واضحاً في عدوانها على العراق عام، ١٩٩١ والحرب على يوغسلافيا ١٩٩٩ والحملة العسكرية على افغانستان ٢٠٠١ ومن ثم عدوانها

١ـ د. سعد حقي توفيق ـ النظام الدولي الجديد: دراسة في مستقبل العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة ـ الاهلية للنشر والتوزيع ـ عمان ١٩٩٩ ـ ص١٣

٢ـ محمد حسنين هيكل ـ الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق ـ ط ٢ ـ دار الشروق ـ القاهرة ٢٠٠٣ ـ ص ٣١٣

واحتلالها العراق عام ٢٠٠٣، وكذلك التلويح باستعمال القوة ضد دول اخرى، مثل ايران والسعودية وسوريا والسودان، على وفق رؤية «هنري كيسنجر» وزير الخارجية الامريكية الاسبق والقائلة (لوح بالعصا امام اعدائك كثيراً، تحصل على النصر) الامر الذي مكنهم مستندين الى القوة التي تملكها امبراطورية غير مسبوقة في التاريخ بفرض نفوذها على الاخرين بطرائق ذات اهمية سياسية. ولا يستثنى من ذلك حتى من تدعي لنفسها انها دول (كبرى) ولعل في التواجد الامريكي في دول القوقاز وآسيا الوسطى والذي تم بضغط وبموافقة روسية ابرز الادلة على ما يستشهد به، كما ان قواتها العسكرية جاهزة للتدخل والحسم بالضرب من بعيد بحزمة من صواريخ (الكروز) و (توما هوك) او بالتواجد الفعلي على الارض مثلما تمكنت عليه من سيطرتها على ثروة المستقبل - النفط - في منطقة الخليج العربي حيث حولت هذه المنطقة ذات الاهمية الاقتصادية الى محمية عسكرية امريكية تتحرك فيها القوات الامريكية بالطريقة التي تضمن سلامة الامن القومي الامريكي ومصالحه في الخليج او في مناطق اخرى من دون الحاجة الى الاستئذان من اهل (الدار) لان شرعية القوة التي تملكها تغني واشنطن عن طلب الاذن من احد، ثم اكتملت الحلقة حينما ربضت على الارض العراقية، ماسكة في فعلها هذا بقلب المنطقة ومحورها الجيو - ستراتيجي.

ان نظام الاحادية القطبية (*Unipolar*) حقق للولايات المتحدة الامريكية، امر التفوق والسيطرة على العالم دون وجود دولة اخرى او مجموعة دول قادرة على تحدي زعاماتها العالمية. ويأتي هذا متوافقاً والرغبة

الامريكية الدائمة، برفضها لمفهوم توازن القوى، مستندة في ذلك، اما للنأي بنفسها عن نزاعات الامم الاخرى، او من خلال قدرتها على ا قرار السلم العالمي، بالاصرار على تطبيق قيمها الخاصة بالديمقراطية وتقرير المصير[١].

لذلك فأن مفهوم (الهيمنة (*Domination* متأت من تركز القوة الهائلة وغير المحسوبة او القوة التي لاتجد مقابلاً لها في الزمان والمكان بما يمكن ان يؤسس عليه بتوازن القوى *Balance of power*، ولذلك يمكننا ان نعرفها بأنها مجموعة الخرائط والحدود والقواعد والاصول والقوانين والاوضاع السياسية والاقتصادية والنفسية بين حربين في جزء من العالم او كله، اي انها بمعنى آخر واقع الجغرافية السياسية *(Gepolitics)* التي افرزتها حرب اقليمية كبرى غير مطروقة في منطقة معينة من العالم. ولعل في مثل الهيمنة الامريكية على شؤون العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والنتائج التي تحققت لها في عدوانها على العراق عام ١٩٩١، ومن ثم احتلاله عام ٢٠٠٣، ابرز الامثلة واوضحها.

كما ان عصر تقانة المعلومات بدأ يؤثر بوضوح في ادارة الشؤون الدولية ومضمونها بما يعزز الهيمنة لمن يمتلك مفاتيح تلك القوة وهذا امر مهم لأن تقنيات المعلومات اضافة الى تغييرها وسائل العمل والاتصال غيرت ايضاً من الوسائل التي تعمد اليها المجتمعات والحكومات مع بعضها بعضاً على وفق خياراتها وحاجاتها في امورها الستراتيجية لأن على الجميع ان يدرك حجم التغيير الحاصل في مجال التعامل مع المعلومات في

---

١. زبغنيو بريجنسكي ـ مصدر سابق ـ ص١١

هذه البيئة الجديدة. ان انظمة الاتصال الرقمية ووسائل الاتصال المباشرة والزهيدة بشبكة الانترنيت *World Wide Wed*، اصبحت من وقائع الحياة ونتيجة لذلك ظهرت على المسرح الدولي مجموعة متزايدة من الناشطين واصحاب المشروعات السياسية لاتعوقهم حدود البلدان التقليدية او نظم التوزيع او حتى البروتوكولات السياسية وهذا مايدفع بالدول النافذة والمهيمنة ان تدرك ان زعامتها تتوقف على قدرة قوتها ودبلومسيتها على التغيير والتكيف مع ضرورات عصر المعلومات[1].

ان المؤشرات التقليدية لميزان القوى او للقوة المهيمنة سواء كانت الموقع الجغرافي ام عدد السكان ام توفر المصادر الغذائية ام الموارد الطبيعية ام البنية التحتية للطاقة العسكرية ام القوة الاقتصادية على الرغم من اهميتها الحيوية لم تعد الضمانات الوحيدة للهيمنة او الزعامة العالمية او الاستقرار السياسي. فهذه المؤشرات لم تستطيع ان تتوقع على نحو كاف التحولات المهمة على الخارطة السياسية للاتحاد السوفيتي السابق. ولذلك فأن ما نستطيع ان نتوقعه في الربع الأول للقرن الواحد والعشرين هو ان تصبح قدرة الدولة على استخدام تقنية المعلومات وتطبيقاتها، اهم مستلزمات الزعامة والهيمنة والنفوذ والتفوق الاقتصادي والسياسي، وهذا لايتوافر وبالشكل الذي يضمن الانفراد والهيمنة لاحدى القوى الا في الولايات المتحدة الامريكية وحلفائهاالمتقدمين في التقنية والمعلومات. فالنظام السياسي في شكل التطبيقات الحاصلة في الوقت الحاضر، أصله

---

١. علي محمد رحومة ـ الانترنيت والمنظومة التكنو اجتماعية ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ٢٠٠٥ ـ ص١١٣

معرفة والمعرفة اليوم، شكل من اشكال النفوذ والهيمنة، وهـذا ماتمارسـه القوى الكبرى في انشطتها السياسية المتعددة الاوجه[1].

كما ان من يمارس الهيمنة «*Domination*» ويحاول الانفراد بهـا لـن يكون مهتماً بالاجابة عـن اسـئلة تتعلـق بـالاخلاق والـشرعية والعدالـة والانصاف لأنه ان انشغل بالاجابات فاتته فرصة التسيد وقد يكون تابعاً وليس متبوعاً وهذا مايدركه كل طغاة وجبابرة البشرية. ولعل في الممارسة الامريكية - البريطانية في عدوانها على العراق واحتلالها له، بعد ان اهملت المنظمة الدولية وكل الدعوات النبيلة الداعية الى ترجيح منطق الحوار على منطـق القـوة والاجبـار والتعـسف، ابـرز الـشواهد عـلى غـرور القـوة والتسلط، برغم الحاجة اللاحقة للامريكان الى الدور الدولي في اخراجها من محنتها التي اوقعت نفـسها فيهـا، في المـستنقع العراقـي. لـذلك فـأن احتدام الصراع في وقتنا الحاضر في ظل الهيمنة الامريكية على العالم متأت من اسباب مصلحية وان اتخذت هذه الصراعات مظهراً قومياً او دينيـاً او ثقافياً او حضارياً. ومن يمارس الهيمنة لن يكون معنيـاً بخـصوصيات او هويات الاخرين لأنه يراها اسـتمراراً ثقافيـاً لحـضارات قديمـة تحللـت واخذت تطغي عليهـا الحـضارة الرأسـمالية الجديـدة المتمثلـة بالليبراليـة الامريكية ولهذا نلاحـظ في الـدول الناميـة بـروز الـدعوة الى الاصـولية انطلاقاً من فكرة ان الماضي هـو الـسبيل الى الاصـلاح. وفي مجمـل هـذا السياق تـسعى الولايـات المتحـدة الامريكيـة الى تنمـيط العـالم سياسـياً واقتصادياً وثقافياً دعماً لهيمنتها ولمصالحها الخاصـة ولـيس دعـماً لوحـدة

---

١. محمد حسنين هيكل ـ مصدر سابق ـ ص٢٦٨

الحضارة وتطويراً لعولمتها. وهي تسعى الى تهميش دور الدولة في مختلف هذه البلدان وتصفية دورها الانتاجي والخدماتي وقصور دورها على الدور الأمني والقمعي لحماية شبكة المصالح[١].

ان الحرب التي تشنها الولايات المتحدة الامريكية ضد ماتسميه بالارهاب، ومنظماته الفاعلة، وضد بعض الدول التي لاتعترف بهيمنتها وتتحدى مشاريعها في مناطق عديدة من العالم، انما تخفي صراعاً تجارياً حاداً بينها وبين منافسيها في الهيمنة العالمية، وان حاولت ان تعطيه مظهراً حضارياً او ثقافياً او انسانياً او امنياً. ولعل في حملتها العسكرية ضد افغانستان عام ٢٠٠١ وعدوانها على العراق، ومن ثم احتلاله عام ٢٠٠٣، واجراءاتها التصعيدية المتعددة الاشكال ضد ايران والسعودية وسوريا والسودان وفنزويلا وكوريا الشمالية، وكل من يقف بالضد من مصالحها ومخططاتها، امثلة مازالت احداثها فاعلة لليوم، برغم «المكيا» الكبير الذي وظف من اجل تسويق تلك الادعاءات والمبررات.

وفي ضوء الهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة الاميركية من خلال تفاقم قوتها ونفوذها لدرجة ان تكون سلطان العالم المطلق اخذت تحتدم صراعات المصالح التجارية بين الدول الرأسمالية نفسها بشأن اسواق العالم مستخدمة ارقى ماوصلت اليه المعرفة العلمية والاكتشافات التقنية وذلك بالرغم مما بينها من اشكال تنسيقية وتحالفية.. ولأنها تدرك ان حلفاءها الظاهرين والمساندين لها في كل خروقاتها لايمكن ان يقبلوا

---

١. روبرت سميث ـ جدوى القوة: فن الحرب في العالم المعاصر ـ ترجمة وتحقيق مازن جندلي ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ٢٠٠٨ ـ ص١٣٨

للأبد بسيادة الأوحد على الجميع وهذا مايخيفها ويجعلها تعيش وتتصرف بقلق بل وبعدوانية في اغلب الأحيان. ولعل تهديد فرنسا باستعمال - الفيتو - في مجلس الامن في الايام التي سبقت عدوانها على العراق عام ٢٠٠٣ ماعطل الرغبة الامريكية في الحصول على قرار دولي يجيز لها استعمال القوة ضد العراق، ابرز الامثلة على صراع الاقوياء.

تأتي تلك المتكأت الفكرية في ظل شيوع مفهوم العولمة *Globalization* التي يراها بعضهم بأنها تبشر بوعود مشرقة للجميع[١] ومنهم من يعدها الوجه الآخر للهيمنة الامبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الاميركية[٢]. فهي قد تكون القوى التي لايمكن السيطرة عليها للاسواق الدولية والشركات متعددة الجنسية او انها حركة السلع والخدمات والايدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والاقليمية[٣] او انها ديناميكية جديدة تبرز داخل العلاقات الدولية[٤] او انها الظاهرة التاريخية لنهاية القرن العشرين او بداية القرن الواحد والعشرين[٥]، او انها حقيقة التحول الرأسمالي العميق للانسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل نظام

---

١. مصطفى حمدي ـ العولمة آثارها ومتطلباتها ـ ادارة البحوث والدراسات في ديوان ولي العهد ـ ابو ظبي ١٩٩٧ ـ ص١١

٢. مسعود ظاهر ـ صراع الحضارات كمقولة ايدلوجية ـ جريدة الاتحاد الظبيانية في ١٩٩٧/٤/٢١

٣. مصطفى حمدي ـ مصدر سابق ـ ص١٤

٤. برهان غليون ـ والمأخوذ من مقال ـ نايف علي ـ العولمة والعرب ـ مجلة المستقبل العربي ـ العدد ٢٢١ ـ تموز ١٩٩٧

٥. علي حميدان/الخليج وتحديات العولمة ـ جريدة الاتحاد الظبيانية في ١٩٩٧/٤/٢٤

عالمي للتبادل غير المتكافيء[١]، او انها مرحلة جديدة من مراحل بروز الحداثة تتكثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، ويكون تلاحمها غير قابل للفصل بين الداخل والخارج[٢].

ونرى ان مفهوم العولمة هو صياغة جديدة لمنظومة القوة القديمة لأن الفكر الستراتيجي لايخترع فهو محكوم بالجغرافية والتاريخ والقوة والموارد وغيرها من الثوابت، انما يعيد الصياغة مع تغيير العصور فهو اصطلاح مخفف ومهذب تجري تسويقه الدول المهيمنة كأحدى محطات الاستبعاد والاستغلال وهو مرحلة متممة لما سبقه من مراحل فهو لفظ جديد لمضامين قديمة، هذا غير انها تسمية متحيزة لاتخرج كثيراً على استراتيجية تسمية الرأسمالية بمدلولاتها المعروفة[٣].

اضافة الى انها تعبر عن ستراتيجية خاصة بالرأسمالية التي لم يعد مفهوم الانتاج فيها مركزاً في المناطق الصناعية المعروفة بالمناطق التقليدية بل توزع خارج البلاد الصناعية الاوروبية والاميركية. فقد اصبح مفهوم الشراكة بمثابة العنوان الاساسي لمراكز الانتاج. اضافة الى ذلك فقد طرأ تغيير اساسي على الشكل البضائعي والسلعي الذي كان سائداً في مجال دورة المال الرأسمالية فقد اصبح المال في حد ذاته بضاعة بدلاً من ان يكون

١ـ صادق جلال العظم ـ ماهي العولمة ـ ورقة بحثية قدمت في الندوة التي نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة ـ العلوم ـ تونس ـ تشرين الثاني ١٩٩٦.

٢ـ عبد الخالق عبد الله ـ العولمة جذورها وفروعها ـ عالم الفكر ـ الكويت ـ العدد الثاني ـ اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٩٩ ـ ص ٥٣

٣ ـ ـ د. حميد حمد السعدون ـ العولمة وقضايانا ـ دار وائل للطباعة والنشر ـ عمان ١٩٩٩ ـ ص ١٣ ـ ١٤

ثمناً للبضاعة، اي اصبح سلعة لنفسه ولا يمر عبر الانتاج الا من اجل تحصيل فوائده[١]، ولا نبالغ حينما نجدها بانها فرض القيم الاميركية على العالم، اي سلوك الاجبار في امركة العالم (*Americanisation*) ودفع الدول بالاكراه، ومن خلال منظمة التجارة العالمية على تطويع اقتصادياتها بما يلائم اقتصاديات ومصالح امريكا والغرب[٢].

وفي عصرنا الحالي علينا ان ننبه على مايمكن ان نسميه عملية (التبعية) الحضارية، ونعني بذلك الاكتساح الثقافي والمعرفي والاعلامي لمنظومة الاختراق المبشرة به والمتجسدة في اقوياء هذا العصر وسلاطينه تجاه الشعوب والأمم الأخرى والتي لاتملك قوة او معرفة القوى المهيمنة على الساحة الدولية، الأمر الذي يدفع بكثير من الأمم الى (التقوقع) على نفسها ازاء فارق الامكانات لتتشبث بسلفيتها وترتد بعيداً، لتغور في الماضي تبحث عن معادل لما تتعرض له بحيث يدفع بالعالم نحو حالة من حالات الاضطراب والفوضى والتسيب وانفلات الامن، خاصة ان التطور الانساني في القرون الاخيرة، امتاز بتباطؤ التطور الثقافي والقيمي قياساً بالتطور الاقتصادي والتكنولوجي. ففي كل مرحلة من المراحل وفي كل منطقة من المناطق، نرى ان المجموعات البشرية، تتقدم بسرعة معينة في المسارات التقنية والاقتصادية، في حين تكون سرعتها في

١ـ د. سمير امين ـ مابعد الرأسمالية ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٨٨ ـ ص١٣١

٢ـ مجموعة من الكتب الامريكيين ـ العولمة والارهاب حرب امريكا على العالم ـ ترجمة حمزة البسيوني ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ٢٠٠٢ ـ ص ١٢٦

المسارات الثقافية والقيمية أبطأ، الامر الذي يتطلب منا ان نعطي الحوار الحضاري اهميته لابسبب رغبتنا وارادتنا في اجراء ذلك الحوار، بقدر ما لحاجتنا اليه، لانه مؤسس على عناصر معرفية وموضوعية تتيح اكتشاف الغايات والوسائل بعيداً عن الدمج التلفيقي لأية خلطة تعارض قيم الحضارة الانسانية[١].

ان الاكتساح الهائل الذي يقوم به المبشرون بالعولمة وثقافتها نجدهم عاجزين عن تقديم المضمون العيني لهذه الثقافة التي تقدم احيانا امتداداً لديناميكية الحداثة وثمرة تحققها واحيانا اخرى نهاية هذه الديناميكية وانطلاقة عصر جديد لة ثقافته المغايرة. ومهما كان القول بان العولمة قد وفرت ادوات تواصل ثقافي غير مسبوقة وناجحة جداً وقوية التأثير من خلال امتلاكها انتاجات واكتشافات العصر والتعامل معها، الا انها لم تولد مضمونا ثقافيا ذاتيا في ظل اكتساح الجانب الواحد ونجاحاتها[٢].

ان عالم اليوم، هو عالم القوى المهيمنة والمتفردة باحواله بحكم قدرتها على تدميره مما دفعها الى ان تنظر لأية صيغة حوارية حضارية بعين الاستصغار والتزمت خصوصاً ان المهيمن الحالي، استدعى وطأة الماضي في حواراته وافعاله وبطريقة تكون احياناً اكثر من استفزازية والا فما الذي دعا الرئيس الامريكي الاسبق (جورج بوش الأب) وهو يعلن بدء عملية (عاصفة الصحراء) ضد العراق عام ١٩٩١، ان يمسك الأنجيل

١ـ د. سمير امين ـ امبراطورية الفوضى ـ ترجمة د. سيناء ابو شقرا ـ دار الفارابي ـ بيروت ١٩٩١ ص ١٣٨

٢ـ د. حميد حمد السعدون ـ الغرب.... مصدر سابق ـ ص٣٧

بين يديه، ويعلن عزمه على حماية الحضارة المسيحية الغربية، من القوى الشيطانية التي تهددها مخاطر جسيمة[١]، ثم يعود ابنه «جورج بوش» عام ٢٠٠١ ليستعمل تعبير «الحملة الصليبية» ضد المسلمين في اوامره لبدء الحملة العسكرية ضد افغانستان ويكرر التعبير نفسه وبالحماسة نفسها، حينما يشن عدوانه على العراق عام ٢٠٠٣، ثم يتمادى حينما يصف الاسلام بـ «الفاشية» وكأنه يريد الباسه لبوساً هو نتاج المجتمعات الغربية، هادفا بهذا التوصيف، تقديس الذات وأبلسة الآخر.

هل ان ماحدث محض صدفة، أم ان الأمر مقصود؟ الأكيد، ان العقد التاريخية المترسبة من الماضي، والتي استدعتها ذاكرة الرؤوساء الامريكان من «آل بوش» تعيق الحوار وتعطله، وتشجع منطق الصدام، ولا تنفس عن الغيظ الكامن في نفوس بعضهم برغم رفسات الجنرال «غورو» عند قبر صلاح الدين الايوبي في دمشق عام ١٩١٩!!!

ومع اهمية الرسائل الايضاحية والمشجعة التي ارسلتها ادارة الرئيس الامريكي «باراك اوباما» للشعوب الاسلامية بأهمية اللقاء والحوار الحضاري، الا ان ماترسب في العقل الباطن لكليهما، ليس من السهل التجاوز عليه من خلال جمل ولقاءات مصنوعة، بل المطلوب اساساً، ان تتغير المناهج والسلوكيات والافعال. ودون ذلك، فالامر لايعدو ان يكون تناقضاً نفاقياً فاضحاً، او بالوناً ملوناً ستأخذه الريح بعيداً في لحظة افلاتنا للخيط المربوط به. ان الحوار والتواصل الحضاري، عمل ثقافي

---

١. مجموعة الكتاب ـ مصدر سابق ـ ص٢١٨

وفكري وخلقي، وعمل سياسي واجتماعي، ومنظور حضاري، وقد كان (اندريه مالرو)(*) على حق عندما توقع عودة التأثيرات الروحية ودور الديانات، الى احتلال موقع مركزي مؤثر في حياة البشر والمجتمعات في القرن الواحد والعشرين، لأن انغلاق ابواب الحوار على الارض وتقليص مجالاته وغرور المتنفذ، يفتح ابواب الحوار، مع المطلق الداخلي والخارجي للانسان مما يبعدنا عن السلام بشكل عام وخاص ويدفع بنا نحو مهاد مهلكة[1].

ان تاريخ الحضارة هو تاريخ التقدم نحو تأكيد الحوار كقانون اساس مميز للمجتمعات البشرية ومعيار لرقيها، وعلى هذا الاساس فان ارادة الحوار تعد معيارا للحكم على درجة الاستعداد الحضاري لدى المجتمعات والافراد، كما ان تطور الحوار الى مستوى الفهم العلمي والتصور الحضاري والبناء الستراتيجي للكوابح التي توقف الحروب وتعزز اركان بناء السلام، هو معيار سلامة البناء الحضاري، لان الانسانية، عانت مافيه الكفاية من التدمير والخراب والقتل من أنموذج الصراع الحضاري، وآن الاوان لانموذج الحوار الحضاري، ان يزيح ذلك

(*) اندريه مالرو: وزير الثقافة الفرنسي في عهد الرئيس ديغول. من ابرز مثقفي العصر ومفكريه. اشترك في الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ في صفوف الجمهوريين. انضم الى مقاومة الاحتلال الألماني لبلاده في اعوام ١٩٤٠ـ١٩٤٩. انتقد السياسة الاستعمارية لفرنسا خصوصا في الجزائر. كان الوزير الاقرب لديغول فكراً وسلوكاً ، لذلك فقد ابتعد عن اي منصب رسمي في الدولة بعد استقالة ديغول عام ١٩٦٩.

١ـ د. الياس فرح ـ مصدر سابق ـ ص ٧٩

النمط من التفكير، بما يمنح الانسانية فسحة امل وتطلعاً ورضاء، وهي تخطو في عصر الالفية الثالثة.

ولا نبالغ في مانقول، ان صدام الحضارات، هو نهاية العالم، وان الحوار الحضاري، هو جسر التواصل الحقيقي لاستمرار الحياة وانضاج ظروفها نحو الاحسن، كما انه في اسوأ حالاته، قد يكون محطة للصراعات الحضارية، حتى و ان كان ذات شكل عنيف، لكنه لن يكون حتماً بشكل ونتائج الصدام نفسها، في ظل العقلية المرابية التي تسيطر عليه وتوجه مدياته. وفي هذا الاتجاه، وتحت خيمة الطروحات الشائعة والمتصلة بهذا الحوار، خاصة الطروحات الغربية، والمتمثلة بما هو شائع ومطبق، مثل مفاهيم نهاية التاريخ وصدام الحضارات والحرب الاستباقية والحرب الاجهاضية. والمتخذة حاليا انجيلاًللسياسات الغربية الرسمية، فأنا نرصد ان الحوار وفي ظل مثل هذه الاجواء المتوترة، قد اتخذ مسارب ثلاثة:

اولها: المقاربة التاريخية في تحديد الظاهرة للوصول عبر جملة مقارنات مركبة الى وحدة الحضارة كنتاج لامتزاج وتداخل الثقافات المتغايرة في بنية تآلفية جامعة تعيين القيم المعرفية والسلوكية الراهنة[1].

ثانيهما: بعض اتجاهات الدراسات المستقبلية التي تنطلق في ضبط السياقات الثقافية من ارضية وآليات التطور التقني كون ان كل تقدم نوعي في العلوم والتقنيات يفضي الى نتائج حاسمة في الانساق المجتمعية

١ـ فرانسيس فوكوياما ـ نهاية التاريخ ـ ط ١ ـ ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشيخ ـ دار العلوم العربية ـ بيروت ١٩٩٢.

والثقافية والاطر المعيارية والسلوكية للبشر[١].

ثالثها: بعض الاتجاهات الفلسفية والانثروبولوجية التي تقسم الثقافات وتصنفها على اساس منطلقاتها العقيدية وخياراتها المجتمعية والايدلوجية من خلال اعطاء المدلول الديني كمقوم اساسي للثقافات. وخير مايعبر عن ذلك - هانجتون - في نظريته المشهورة[٢].والتي يجاريه فيها الكثير من الساسة والمفكرين الغربيين المنظرين لحالة الصدام الحضاري وهم في ذلك يتأرجحون بين التصور الاستاتيكي المغلق للثقافات من حيث استنادها الى المقاييس الدينية الثابتة، وبين اختزال هذا الصدام في تهديد المتعصبين والارهابيين لحضارة العلم والتقنية والمستقبل، وهم في الحالتين عاجزون عن ادراك جوانب الامتزاج والتداخل الكثيفة بين الثقافات والحضارات الكبرى التي تتكون منها البشرية اليوم[٣].

ان الشكل الامبراطوري الامريكي الحالي، او مايسميه البعض بنظام الهيمنة المطلق، هو تعبير عن غياب النظام القائم على القانون وبالمقابل سيطرة منطق القوة. وهو وضع لايمكن ان يستمر طويلاً، ولايمكن ان يكون سوى مرحلة انتقالية، فلا يمكن ان يستقيم اي نظام قائم على اباحة كل شيء في العلاقات الدولية، وعلى الاحتكام للقوة[٤].

---

١. الفن توفلر ـ حضارة الموجة الثالثة ـ ترجمة عصام الشيخ قاسم ـ الدار الجماهير للنشر والتوزيع ـ بنغازي ـ ليبيا ١٩٩٠

٢. صموئيل هانتجتون ـ مصدر سابق ـ ص ٢١٨

٣. د. حميد حمد السعدون ـ الغرب.... ـ مصدر سابق ـ ص٢٨

٤. برهان غليون ـ العرب وتحولات العالم من سقوط جدار برلين الى سقوط بغداد ـ ط١ ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء / المغرب ٢٠٠٣ ـ ص٧٦

ان الامبراطوريات الكبرى في التاريخ، لايهزمها خصومها في صراعات مباشرة الى النهاية، وانما تتولى هي هزيمة نفسها بالافراط في استعمال القوة وفي التوسع، اذ تعجز عن مسايرة التطور، وتتصور قدراتها غالبة الى الابد، وهي حالة الوضع للامبراطورية الامريكية الحالية التي انغمست في غرور القوة والاجبار، مستندة الى تفوقها في مجالات عديدة. لكن الاكيد، ان نهاية هذه الحالة، أمر مفروغ منه، وان كان زمنها لايمكن التنبوء به بدقة، لكن مانراه من التدهور الانحداري لمقومات هذه القوة، بات اكثر من واضح، مما يضع قيوداً جدية في طريق مواصلاتها سلوك الهيمنة الدائمة.

المبحث الثاني

الفوضى الخلاقة

ان الحوار الحضاري بقدر ماهو ضروري فهو حاجة انسانية تستوجبها اللوحة العالمية التي يعاد تكوينها من منظور وحدة التاريخ العالمي والتطور الثقافي - الحضاري للانسانية جمعاء كما انه في حل اشكالية التفاهم المتبادل بين الشعوب، يتعلق مستقبل الانسانية جمعاء خصوصاً ان الجميع يتحدث بان العالم اصبح (قرية كونية) تتطلب كل الجهود الانسانية من اجل صيانة هذه (القرية) والحفاظ عليها بعيداً عن كل مستحدثات الأذى الانساني للانسان. فحوار الحضارات يراه بعضهم توازنات قوى جديدة ترغب في اعادة تكوينها على وفق اعادة حضارة لرؤيتها العالم او للاخر بشكل يبعد او يزيل بؤر التوتر والتشنج مع الحضارة الاخرى للوصول الى مفهوم اقرب للتعايش المشترك في مجتمع عالمي[1]. لكن ذلك الكلام على جماليته لايقدم شيئاً امام النزوع البشري خاصة اذا كان عنيفاً ومدمراً، وحينها نستذكر مثلا عربياً يقول (ان الطبع غلب التطبع) وعليه فان مايحدث هو صراع مصالح بين من يملكون ان يهيمنوا على الشعوب والثقافات والاحتياجات والمصالح، وبين من

١ـ د. رضوان جودة زيارة ـ في الحوار اعتراف بالتعدد واحترام الآخر ـ مجلة الوفاق العربي ـ العدد (٢٩) نوفمبر ٢٠٠١ ـ ص٤١

يرفض ويقاوم ويقاتل من اجل ذاته، حتى وان عرف ان قدراته لاتناسب حجم الهجمة الهائلة والمندفعة نحوه، ادراكا منة بواجبة الانساني المطلوب، مايحصل صراع من اجل استكمال هيمنة النظام الرأسمالي وقواه النافذة والمهيمنة على العالم، وطمس كل الخصوصيات والقوميات واخضاعها لمشيئة ومصلحة واهداف المهيمن.

ان ماحدث في الحادي عشر من ايلول / سبتمبر ٢٠٠١ كان فاصلاً نوعياً بين امريكيتين، وما نقصده بذلك تحديدا التبشير بولادة وعي جديد بعيداً عن لافتات الهيمنة التي اقترنت بالاستعباد وتسليع الناس وطوي شعار (امركة العالم) الذي اثبت فشله امام مايحدث في العالم. والوعي الجديد المطلوب عليه الاقرار بحقيقتين طالما تم نكرانهما، الاولى: ان الولايات المتحدة الامريكية تعيش الشروط الارضية والتاريخية ذاتها التي تعيشها البشرية في هذه الحقبة وبالرغم من كل الكتابات التي تضع امريكا بين قوسين كونها استثناء فأن مجمل مايقال الان ومايوحى به ايضاً على نحو غير مباشر يجزم بأن هذه الحقيقة قد باتت واقعاً. والثانية: وهي مرتبطة عضوياً بسابقتها تتلخص في اعتراف الولايات المتحدة الامريكية بالعالم خارج حدودها الاقليمية ومدارها، اي ان امريكا لم تعد جزيرة عملاقة محصنة او قرية «مضيئة» في اعلى الجبل، بل اصبحت جزءاً من عالم حقيقي وليس افتراضياً، وهنا لابد من استذكار مقولة فلسفية سادت اوربا في الخمسينات وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية هي ان الوعي لامعنى له اذا لم يرتطم بالأشياء من حوله فانه اذا يوجدها هو ايضاً بسببها وقد اوضح ذلك الفيلسوف الفرنسي المعروف (جان بول سارتر) حينما

اورد مثالاً بالغ الأهمية عندما قال – ان المرايا تحتاج دائما الى ماتعكسه لأنها من دون ذلك تبقى مجرد فراغ وزئبق ـ .

فنظرية القلعة الحصينة التي كان يقول بها الكثير من الاستراتيجيين الأمريكان وفي المقدمة منهم - هانجنتون - والذي كتب بعد احداث ايلول / سبتمبر ٢٠٠١ م توصية للبيت الابيض اذاعها ونشرها الكثير من وسائل الأعلام خلاصتها ان يتولى المتشائمون مناصب قيادية في دوائر الامن القومي الامريكي، بعد ان فشلت هذه الدوائر في تقدير توقعاتها لما تتعرض له الولايات المتحدة من اخطار بعد الانفراد الامريكي بقيادة العالم. تلك النظرية اثبتت عدم صحتها ازاء عاصفة النار والدمار التي شهدتها نيويورك وواشنطن واحالت الغرور الامريكي بالأمن المطلق الى وهم وتخيلات صبيانية ازاء فقر المخططين الاستراتيجيين للخيال في توقع الأخطار المقبلة نحو الولايات المتحدة الامريكية بسبب الغرور والتعالي، برغم ان احد المهتمين بالتخطيط الاستراتيجي قد اكد ان الولايات المتحدة (ستتعرض لحوادث تفصل ماضينا ومستقبلنا حيث نقول (قبل) و (بعد) مما يؤكد ان الجهد والموارد التي خصصناها حتى الان لتجنب هذا الخطر واحتوائه لن تكون كافية على الاطلاق عندما ننظر اليها بعد وقوع حادثة من حوادث الارهاب المدمر[1].

وقد كان ذلك واضحا في قياس ردود الفعل البطيئة لقيادات الدفاع الاستراتيجي في الولايات المتحدة الامريكية، بعد أن اتضح عدم قدرتها

١ـ ويليام بيري ـ الدفاع الوقائي: ستراتيجية امريكية جديدة للمن ـ ترجمة اسعد سليم ـ مركز الاهرام للترجمة والنشر ـ القاهرة ٢٠٠١ ـ ص ١٤٤

على استيعاب الاحداث بالسرعتة المطلوبة، مع أخذ المبادرة برد الفعل السريع، ازاء ماحدث صباح الحادي عشر من ايلول / سبتمبر ٢٠٠١، بحيث اتضح العجز، بين الفعل ورد الفعل الذي يسببه الارتباك والتردد، حتى عند اعلى المستويات القيادية برغم ان ماتحت يديها من قوة ونفوذ، قادرين على تدمير الكرة الارضية لعشرات المرات. لذلك فأن ردود الفعل البطيئة مع غياب السلطة السياسية «القائدة» عن الظهور الفاعل والمؤثر في وسط الاحداث، هز الثقة «بعظمة» الدولة العظمى الاولى في العالم، وهذا اشاع الاضطراب والانفلات والضياع، خصوصا وان القرارات التي توالت في الصدور عن واشنطن كرد فعل لما حدث، عصبية وزادت من تأثير الصدمة اكثر مما ساعدت على استيعابها، مثل اغلاق المجال الجوي الامريكي وغلق الحدود والاعتقال على الشبهة ومنح اجهزة الأمن السلطة المطلقة... الخ، مما اشار الى ان هناك الكثير من الاعتداءات على الحريات والحقوق المدنية، بحيث كانت هناك «ازمة» يعيشها صانع القرار السياسي الامريكي، بشأن التناقض القائم بين التوسع في اجراءات مقاومة الارهاب من ناحية، ومحاولة الحفاظ في الوقت نفسه على التوازن الامريكي التقليدي بين حماية الحرية والخصوصية من ناحية اخرى. بل ان الكثيرين قد تخوفوا من انبعاث (المكارثية) بحجة اجراءات الصيانة والامن، بعد ان بان تحكم الاجهزة الامنية في كل صغيرة وكبيرة ولأن هذه الاجهزة - في أي بلد - تستلطف التوسع في سلطاتها فانها لن تكتفي بالتفتيش الاحترازي بل ستعمل على تفتيش العقول والضمائر وماهو داخل (السرائر) بحجة درء الأخطار

وصيانة امن الوطن والمواطن، خصوصاً ان الكونغرس قد شرع في تشرين الاول / اكتوبر ٢٠٠١، قانونا وطنيا يعرف «بالمرسوم الوطني الامريكي *US Patriot Act*» الخاص بالمراقبة والاعتقال والحجز.

هذا التصعيد مردة ان الولايات المتحدة الامريكية، لم تتعرض، لعدوان خارجي منذ عام ١٨١٢، حينما احتلت القوات البريطانية، العاصمة - واشنطن ـ . كما أنها وبعد انتهاء الحرب الباردة، واجهت مشكلة زوال عدو واضح، يساعدها على تعبئة قواتها، ويمكنها من تحقيق مزيد من الانصهار لوحدة شعبها، خاصة انها لم تكن متأهبة لمواجهة الوضع الدولي الجديد، لأن الانهيار السريع للاتحاد السوفيتي والذي كان اشبة بزلزال، لم يمكن الادارة الامريكية، بأن تهيء الصورة البديلة او سبل التعامل مع الوضع الجديد، دون أرباك او ارتجال فوضوي. وقد كان وزير الخارجية الامريكي الاسبق - هنري كيسنجر – دقيقاً حينما، وصف الحالة المتحققة انذاك بأن «الولايات المتحدة الامريكية، وجدت نفسها امام عالم لم تعد تجربتها التاريخية سوى القليل من».

ازاء ذلك، فأن ماحدث في مدينتي نيويورك وواشنطن، عده الرئيس الامريكي «اعلان حرب»، استدعى منه تعبئة وطنية شاملة قاصداً من ذلك تبرئة قصوره وادارته واجهزته المتعددة من حالة الاهمال والفشل ورد الفعل البطيء، توازى معها نشاطاً سياسياً على مستوى العالم، الغرض منه تحشيد تحالف دولي ضد (الارهاب). وعندما تحقق له ذلك مع مالحق به من افعال العمل العسكري بدا ان امريكا وقادتها يريدون ان يعوضوا بالعنف ما انكشف عندهم من ضعف ولذلك كان الصاق تهمة

ما حدث قد اتجهت تحديداً ضد (اسامة بن لادن) وضد الاسلام السياسي وبلغة تحريضية كانت مفرداتها اقرب ماتكون مفردات احد قادة الحملات الصليبية الذين عرفناهم على مدى قرنين سواء كان اسمه – باربروس او ريتشارد قلب الاسد او أروناط... الخ، بل ان الرئيس الامريكي، استخدم ولأكثر من مرة في خطاباته عبارة «الحرب الصليبي». وقطعاً ان ذلك الاستعمال لم يكن بريئا، بل انه جاء مقصوداً، رغم الاعتذارات اللاحقة والتوضيحات المقصودة من استخدام هذا التعبير.

بعد ان ادعت الولايات المتحدة الامريكية ان الاسلام السياسي وفي مقدمته (بن لادن) قد فتحوا النار عليها، فانها استعرضت قوتها الطاغية والمنفلتة في حملتها ضد افغانستان الممزقة والمتهدمة والواقعة تحت العنف منذ عام ١٩٧٨م مقدمة لعمل جعلت امريكا فصوله مفتوحة لان تكتب فيها مايلائمها وبما يوافق الافكار التي طرحها – هانجتون – في صدامه للحضارات في حين سيكون عنوانها الرئيس انها حرب ضد (الارهاب) لكنها في الحقيقة حرباً ضد الاخرين الذين يختلفون حضارياً وفي المقدمة من ذلك الهوية والثقافة الحضارية الاسلامية، ولعل في احتلالها العراق عام ٢٠٠٣، ابرز الامثلة. ان ماحدث في الحادي عشر من ايلول / سبتمبر ٢٠٠١، كان حدثاً مهما، اثر بشكل عميق في التطورات السياسية اللاحقة، لكن من الخطأ اختزال هذا التأثير الى مجرد بلورة سياسية مشتركة وتطبيقها في محاربة الارهاب[1]. لكن الولايات المتحدة، وتحت

١ـ افغيني بريماكوف ـ العالم بعد ١١ أيلول ـ ط١ ـ ترجمة احمد الهاشم وفالح السوداني ـ دار المدى للثقافة والنشر ـ دمشق ٢٠٠٦ ـ ص٢١٣

ضرورات الادعاء بالخطر المحدق على امنها القومي، فأن عواقب ممارسات الازاحة والاقتلاع التي تمارسها، سوف تدفع البلدان الى الخراب والفوضى، وحدوث ذلك ليس بذي اهتمام، مادامت المصالح الامريكية تحتاجها، متكئة في ذلك على ماشرعه لها مجلس الامن الدولي بقراريه «١٣٦٨» في ١٢/ ٩/ ٢٠٠١ و «١٣٧٣» في ٢٨/ ٩/ ٢٠٠١، والذي اعطاها فيه تفويضاً مطلقاً في استعمال العنف والقوة ضد اي طرف، تعتقد الولايات المتحدة الامريكية بخطورته عليها وعلى الاطراف الدولية الاخرى، وحصول ذلك وبهذا التفويض المطلق، يعد تحدياً خطيراً لدور الامم المتحدة واستمراريتها كهيئة دولية جامعة تعنى بأمن وسلام المجتمع العالمي.

لذلك، فأن الولايات المتحدة الامريكية، اتجهت في سياساتها الخارجية، نحكو تطبيق الفوضى الخلاقة في عموم المجتمع الدولي، والتي تعني وجود عناصر متفاعلة مع بعضها بشكل صراعي، يصلح ان يكون انموذجاً تطبيقياً لحالات الدول المختلفة، لأنه احياناً، يترك الصراع لقواه الذاتية للحسم. والفوضى الخلاقة، شكل من اشكال التدمير الذي فلسف له البعض من مروجي الخطاب السياسي الامريكي، بأن اشكاله التدميرية، قادرة على الابتكار، مما يعني نقلة نوعية للشعب الذي تمارس ضده هذه السياسة، كما انها تعبير دقيق للممارسات الامريكية في حقل السياسة الخارجية، والمطبوعة بالفوضى والانفلات والاجبار، ولعل في شواهد الحروب والتأزمات والكوارث التي حدثت في عصر الهيمنة الامريكية، تغني عن الاستدلال عن كارثية الفوضى الخلاقة، التي اعتمدتها الولايات

المتحدة الامريكية كفيصل لها في المسرح السياسي الدولي.

ان الولايات المتحدة تقوم بتجربة وامتحان وقدرة امكاناتها في مايخص التأزمات الحاصلة في العلاقات الدولية، مستغلة بذلك خوف وفزع العالم منها ازاء عصبيتها الزائدة، التي تدفعها لاستخدام القوة العسكرية المفرطة، ولكونها القوة الأوحد في هذا الوقت، فأنها تحتاج الى اثبات قدرتها، كما انها تحتاج الى ان تخيف الآخرين بقوة اسلحتها من خلال التجربة في ميدان حقيقي، وهي تتطلع الى ان تجعل الوضع الذي تقوده - سلاماً ساخناً - لكي لاتفرط بمكامن وحقائق القوة في اوضاع الطمأنينة والاسترخاء. فالولايات المتحدة، وبالمنطق الاستراتيجي، تتعامل مع الجميع وتدفع للجميع وتنسق مع الجميع وتدعم الجميع، لكنها تذهب لتحصيل وتحقيق اهدافها، بالشكل الذي يتناسب وماتريده، دون ان تعير اي اهتمام لغضب الاخرين وزعلهم، من النتائج النهائية التي تحصلت لها سواء بالقوة الناعمة ام بالقوة المفرطة والعنيفة[1].

الولايات المتحدة، تريد ان تمسك بهذه اللحظة العالمية لادامة قوتها، لأن ذلك يمكنها ان تتصدى لكل محاولة، تحاول ان تغير في معادلات القوة، في عصر الهيمنة المطلق، خاصة انها تمارس عربدة في المحيط الدولي، الذي باتت موازين القوى فيه، تلاحظ القدرة العسكرية الطاغية للولايات المتحدة الامريكية، والتي لن تتردد في استخدامها تجاه اي قوة تفكر او ترغب بتغيير معادلات القوة النافذة، وهذا ما يتيح لها، الامكانية

---

١. صوفي بودي جندور ـ المجتمع الامريكي بعد ١١ سبتمبر ـ ط١ ـ مطبوعات المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية ـ باريس ٢٠٠٢ ـ ص٨٥

على تغيير الخرائط ووقائعها الجغرافية والسياسية، السابقة لأفعالها.

لقد استخدمت الولايات المتحدة بعد ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ المعتقدات والافكار والتبريرات كافة التي تخدم خطابها السياسي والاعلامي لتوظيفها في الاتجاهات كافة. وقد خطت خطوة اصولية متزمتة، حينما حولت السياسة الى دين، كما هو الحال لدى الحركات الاصولية، التي تعيد تفسير الدين، وتقدم قراءات للواقع من خلال ذلك التفسير، لتصبح تلك القراءات ايدلوجية دينية، تتحول السياسة في بنيتها الى ممارسة دينية، ونتيجة لذلك، تغدو ممارسة السياسة فرضاً على كل مؤمن يبحث عن خلاصة، ازاء هيمنة الاعتقاد الذي تتلبسه بكونه ممثلاً للارادة الالهية. وعليه فأنه في بلد للدين فيه نفوذ كبير على السياسة، كحال الولايات المتحدة الامريكية فأن مفردة «الش» مرتبطة بمفردة «الشيطان» وبهذا المعنى يستخدم الدين لمواصلة اهداف غير نبيلة[1]. ولذلك فان استعمال مفهوم – محور الشر – في نشاط السياسة الخارجية الامريكية، لايبتعد عن هذا الفهم، رغم ان تغليف الخصومات السياسية بالدين وما يحيط بة، نهج مشوة واساءة متعمدة للدين وللانسان، كما ان استعمال مفردة «الحرية» في الخطاب الامريكي، لاتعني حرية الخيار السياسي، بل حرية اكتشاف الرب بالمدلول المسيحي التبشيري[2]، معبرين في ذلك عن تجاهل لعلم الادراك رغم كونة علم الحقيقة الصعب،

١. صوفي بودي جندو ـ مصدر سابق ـ ص٩١

٢. بوب وودوارد ـ حرب بوش ـ عرض وتحليل حسين عبد الواحد ـ الناشر مدبولي الصغير ـ القاهرة ٢٠٠٣ ـ ص٧٩

واستعمالات كهذه، تجعل من ميدان السياسة، حقل الغام مليء بالافخاخ ومصائد المغفلين.

امام تلك اللوحة المرتبكة والقلقة والمليئة بالمفاجأت، فقد انشغلت الدوائر المتنفذة في واشنطن، خاصة ادارات التخطيط الاستراتيجي للدولة، في رصد اشكال التحدي المقبل على أمن ومصلحة الدولة الامريكية، من خلال دراستها التهديد والخطر اللذين تواجههما الولايات المتحدة الامريكية في المستقبل المنظور، وكيف تستطيع ان تتأهب لهما. وقد كانت حصيلة تلك الدراسة التي امتدت اكثر من خمس سنوات، الى وضع استراتيجية حددت فيها اشكال الخطر وابعاده، من خلال تحديد ذلك الخطر الذي اطلقوا عليه الحرب غير المتوازية «*Asymmetrical War*» والتي عرفها التقرير الذي حمل توقيع رئيس اركان حرب القوات الامريكية في حينه، الجنرال «هنري شيلتون» بأنها محاولة طرف يعادي الولا يات المتحدة، ان يلتف من حول قوتها ويستغل نقاط ضعفها معتمداً في ذلك على وسائل تختلف بطريقة كاملة عن نوع العمليات التي يمكن توقعها، وعدم التوازي يعني ان يستعمل العدو طاقة الحرب النفسية ومايصاحبها من شحنات الصدمة والعجز، لكي ينتزع في يده زمام المبادرة وحرية الحركة والارادة، وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة وتكتيكات غير تقليدية، واسلحة وتقنيات جرى التوصل اليها بالتفكير في غير المتوقع وغير المعقول، ثم تطبيقه على كل مستويات الحرب: «من الاستراتيجية – الى التخطيط – الى العمليات – بعرض افق عليه بدلائل طار اليها خيال لايخطر على البال منطقياً

ولايطرح نفسه عملياً في التقديرات التي نستطيع تصورها»[١].

وقد كان كل ماتوقعته هذه الدراسة، قد جرى بالضبط، حينما نزلت صواعق النار والدمارعلى نيويورك وواشنطن يوم ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١، وهي الصواعق التي شلت قوة الولايات المتحدة الامريكية وكشفت عيوب خططها الاستراتيجية ورصدها العالمي لقراءة الاحداث. والحرب غير المتوازية التي اشار اليها تقرير رئيس الاركان الامريكي، وتقارير التقديرات الاستراتيجية كافة، لأهم المؤسسات في الادارة الامريكية، تختلف عن الحرب المتوازنة التي عاشها العالم في عصور مختلفة وفي ازمان عديدة، والتي استندت فكرياً الى نظام توازن القوى «*Balance of Power*» والذي يقوم على وجود عدد من تحالفات او محاور القوى المضادة والتي تتكافأ قواها او تكاد، وذلك لردع اي محور قوى من استغلال اي تفوق مؤقتاً في قواه لتغيير معالم الوضع الدولي القائم[٢].

اما الحرب غير المتوازية، فهي التي تقع بين طرف ضعيف وطرف أقوى، يتمكن فيها الأخير في ضوء موارده وقوته العسكرية والاقتصادية والسياسية من تحقيق النصر على خصمه، وهذا النوع من الحروب هو الشائع في اغلب عصور التاريخ الانساني، وما يوقفه ان يتحقق التوازن

١ـ محمد حسنين هيكل ـ حريق امريكي وعالمي ـ مجلة وجهات نظر ـ العدد (٣٣) ـ القاهرة ـ اكتوبر ٢٠٠١ ـ ص٦

٢ـ يراجع في ذلك: أ ـ د. اسماعيل صبري مقلد ـ العلاقات السياسية الدولية ـ مطبوعات جامعة الكويت ١٩٧١، ب ـ هانزمور جنتاو ـ السياسة بين الأمم ـ ترجمة خيري حماد ـ الاجزاء الثلاثة ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٥

بين القـوى. فـالحرب غـير المتوازيـة «*Asymmetrical War*» والتـي دشنت تحديداً ضد الولايات المتحدة الامريكية وضد مؤسـساتها ومعـالم قوتها، فهي غير مقيدة بمذهب معين في اشكال الحرب التي سـتدخلها او في ميدان القتال، بل انها غير مسبوقة بالتخطيط وبالتنفيـذ، وتتعامـل مـع اشكال المخاطرة بأدناها، كما هو الحال بأعلاها، مما يستوجب ارادة قويـة وصبراً طويلاً وتنظيماً صارماً، حتى وان كانـت خطـط الـسلاح وافعالـه خارج حسابات اي منطق، كما ان هذا النوع من الحرب يخلط بقصد بـين ماهو مادي مع ماهو نفسي، بقصد التأثير الأشد، جـراء الـروح المعنويـة العالية والشجاعة الفائقة لدى من يمارس مثل هذه الانواع مـن الحـروب ضد خصومه بحيث يجعل مالايجوز التفكير فيـه وارداً، كـما يجعلـه ممكنـاً حتـى ولـو في المقـاييس الطبيعيـة مـن المـستحيلات، أو أنـه ضرب مـن الجنون[1]. فهذه الحرب تستخدم فيها وسائل مـستحدثة وتكتيكـات غـير تقليدية مبتكرة، تخرج بالكامل على دائـرة المعهـود الى مـاتزخر بـه اعـمال الخيال العلمي «*Scien Fiction*» بفضل التقنيات الهائلة التي وضعت تحت تصرف المالكين لها، ولذلك تكون اشـكال الـصراع والمبـارزة فيهـا عنيفة ولا تحدها مساحات جغرافية او افق زمني.

ان الامبراطوريات العاتية، تكابر حتى تصل الى الـذرى العاليـة، ثـم تكتشف عند الوصول هناك، ان البقاء فـادح التكـاليف، وعنـدها تظهـر حتمية النزول، رغم كل العناد الذي تظهره، حتى وان كان عنيفا. كـما ان

---

١. محمد حسنين هيكل ـ حريق.... مصدر سابق ـ ص٨

هزيمة الامبراطوريات، يتم بالتساقط وليس بالسقوط، من خلال افراطها في استعمال القوة المتصفة بالغرور واهمال وازدراء الاخرين. وهذا مايمكن ان نسجله على الولايات المتحدة الامريكية، منذ ان اقتنصت اللحظة التي مكنتها من الانفراد بالساحة الدولية منذ بدايات عقد التسعينات في القرن الماضي، وحتى الآن. لأن فيض القوة عند كل جبابرة وطغاة العالم تدفعه لسلوك اللامعقول، حتى ان كان ضد اصدقائه وحلفائه، رغم كل التبريرات، الحقيقية والكاذبة، التي يقدمها لتسويغ الاحداث، لكن ماتراه العين، لايتحمل كثرة الظنون، بسبب وضوح الحقائق وتبعاتها وتأثيراتها اللاحقة.

ان الولايات المتحدة الامريكية، تعرف كيف تأخذ، بل وتغتصب في احيان كثيرة، لكنها لاتعرف كيف تعطي حتى ولو الشحيح. ولذلك فأن مظاهر استخلاف الولايات المتحدة، للآمبراطوريتين البريطانية والفرنسية، في منطقة الشرق الاوسط، جرى بالازاحة، التي رافقتها في احيان كثيرة، مظاهر العنف والقسوة، رغم الصداقة المعلنة بين الوريث والوارث. وما حصل جزء من سلوك الامبراطوريات، التي عليها ان تؤطر سياساتها وفقاً لمفهومها الاستراتيجي، بعيداً عن الاخلاق والعواطف، وعليها ايضا ان تتكيف مع كل مرحلة، لأنه ليس المطلوب منها التمسك بستاتيكية الموقف، لأن ذلك يقودها لاخطاء قاتلة، قد تسهم في دحرجة موقفها، لمواقع ادنى، وهو مايستثير كل حواسها العدوانية، كما ان السياسة في المقام الأول، ثمرة تغيير في موازين القوى وتوازناتها، لاثمرة تستند الى الاقناع والقانون والاخلاق والاحقية، لأنه

مالم تملك القوة لتغيير القناعات والحقائق على الارض، فلن تجد احد يسمعك ويلتفت اليك.

ان ماقاله المفكر (اسبينوزا) من ان العصر هو الذي يقرر اللغة، ينطبق بشكل تام على ضرورة واهمية الحوار الحضاري بين الأمم في هذا الوقت الذي تحزمت فيه كل امم الارض وشعوبها بكل ادوات الدمار بسبب نزعة عدم الاطمئنان التي تعيشها في ظل النظام العالمي الجديد ومن هو مهيمن فيه، يذكرنا ذلك مافعلته جماهير معظم دول امريكا اللاتينية بتماثيل - كريستوف كولمبس - في الذكرى المئة الخامسة لأكتشاف القارة، حينما هوت معاول الجمهور بهذه التماثيل لانها وجدت فيها استعماراً واستعباداً جلبه صاحبه مع مكتشفيه المستعمرين، ولذلك فحينما تتعطل لغة الحوار والفهم المشترك وتتهدم كل الجسور الموصلة اليه يندفع الجميع للبحث عن لغة اخرى باعتقادهم انها الحاسمة في حل اشكالات الخلافات القائمة بين الاطراف، وهي التي يسميها استاذ الاستراتيجية الاشهر (كلاوزفيتز) بأنها لغة الحوار العنيف والمدمر.. وهي الحرب.

وبهذا الاتجاه فان لافتات العولمة والنظام النيو ليبرالي المعولم والمسلح الذي تؤدي فيه الولايات المتحدة الامريكية الدور الرئيس والفعال، هي العناوين الرئيسة التي سيتمسك بها العقل الاورو - امريكي للايام المقبلة خصوصا ان الانفراد الامريكي بتقرير مصير العالم يكاد يكون حاسما، بل ان الولايات المتحدة الامريكية اصبحت دولة كاسحة لاتعطلها او تعيق نفوذها اية دولة اخرى، لذلك علينا بالمقابل ان نتمسك بمرجعيتنا التي تعود بشكل قاطع الى الحضارة العربية - الاسلامية وان نسعى باخلاص

الى بلورة مشروع النهنضة كل حسب امكاناته وجهده لأن (الشعوب الاسلامية تبحث عن مشروع حضاري نهضوي جديد لايمكن للاسلام الا ان يكون قلبه ولايمكن للمعطيات الحضارية العالمية الا ان تكون مادة اقتباس وتوليف وهضم له)[1].

وحينما نتحدث عن هذا المشروع، نعني به وجوهاً ثقافية واجتماعية وتنظيمية واقتصادية وسياسية ومثل هذا المشروع تزداد قيمته كلما التصق بواقع الناس ومشاكلهم وهمومهم وقدم لها حلولاً عصرية، كما علينا ان نكشف كل ماهو دخيل علينا ونتخلص منه ونعيدانتماءنا بحق الى نظام ينبع من هويتنا الحضارية وحدها بحيث تصبح الحضارات الاخرى مجرد نماذج يمكن ان نأخذ منها ونستفيد ونتعلم ونقتبس، ولكن داخل معيار حضارتنا نحن. لذلك فأن اندفاع الولايات المتحدة الامريكية للانحياز المطلق للعدو الصهيوني، مع – اسلمة – الارهاب يكونان اعوجاجاً واضحاً في كل مسارات المنطق الذي يستوجب ان تتصف به الدولة الأقوى في هذا الوقت. فالاسلام ليس بؤرة او مكاناً حاضناً للارهاب بل انه اكثر الديانات دعوة الى السلام والتعايش والالفة والاخوة العالمية، لكن ما حدث من العنف الذي درج على تسميتها بالارهاب والصاقها به متأت من الظلم الواقع على اهله وفي ديارهم من القوى المهيمنة والنافذة، لذا فعلى الولايات المتحدة الامريكية ان رغبت في ان تقطع وتجفف منابت ومنابع الارهاب الدولي، ان تبادر للاتصال بالوعي العام للمسلمين والعرب والذي يركز على الكرامة الانسانية، والابتعاد عن

---

١. مجموعة من الكتاب ـ مصدر سابق ـ ص١٩٩

العجرفة وجنون العظمة – مغترة بصلف القوة وجبروتها – وان تكون منصفة مع الاخرين، بعيداً عن التحيز والاراء المسبقة، وفي المقدمة من ذلك القضية الفلسطينية وحقوق شعبها، وبما يجعل من العالم (قرية كونية) يعيش سكانها بأمان واستقرار وطمأنينة لأن ماحدث في ايلول / سبتمبر ٢٠٠١ كان هجوماً ضد السياسة الخارجية الامريكية وليس ضد الحضارة الغربية او ضد الشعب الامريكي، ومن يع ذلك من اصحاب القرار السياسي في اورو ـ امريكا – يؤكد مصداقيته لنفسه اولاً قبل مصداقيته للآخرين.

ومن المثير للغرابة انه في قمة حماسة الولايات المتحدة الامريكية للاستعداد للحرب ضد «الاخرين» فقد قامت بعد احداث ايلول / سبتمبر ٢٠٠١، بتحويل موارد مالية كبيرة الى الامن لاالداخلي، واعتقلت اعداداً كبيرة من المسلمين الامريكيين، بحجة الصيانة والامن، الى حد جرت اقامت العديد من دعاوي الحريات المدنية ضد وزير العدل الامريكي في حينه (جون اشكروفت). وقد عزيت هذه السياسة ذات الابعاد العنصرية الواضحة، الى اسباب / من بينها الحد من الهجرة نحو الولايات المتحدة، مما بدى ان المكارثية اهون بكثير مما يحدث الآن.

كان الخطاب الاصولي المتزمت، والذي اعتمدته الولايات المتحدة في اجراءاتها الداخلية، او في حقل السياسة الخارجية، منطقاً شمولياً لايعترف بالاخر ولا يتناسب مع المواطنية والديمقراطية[1]. وهذا ما

---

١ ـ فرج العشة ـ نهاية الاصولية ومستقبل الاسلام السياسي ـ دار الرئيس للكتب والنشر ـ بيروت ٢٠٠٩ ـ ص١٢٧

اوقعها، مع مارافقه من غرور القوة الذى تلبسها بعد انفرادها وهيمنتها على احوال العالم، وشكل معالجاتها اللازمات الدولية، بما يمكن ان نسميه التشابه مع موقف آخر «*Syndrome*» وهي حالة تقع فيها القيادات المغرورة والغبية، حينما تقيس اوضاعها في ازمة ما بناء على النتائج التي تحققت لها من ازمة سابقة، وهي حالة تأخذ العقل السياسي للتماثل مع اجراءات حالات سابقة، مما يدفعها للقياس على ماسبق، الامر الذي يوقع العقل السياسي في حالة ارباك وتشوش، ناسين ماكان القائد الالماني الشهير الماريشال «فون مولتكه» يوصي به ضباط اركانه بالقول: «لاتحاربوا الحرب التي مض». لذلك فليس صحيحاً ان نقيس على مانعرفه في العمل السياسي، بل المطلوب القياس بالتخيل والتنبؤ والتقدم على الاخرين، وهذا مالم تفعله الولايات المتحدة في حروبها المفتوحة في افغانستان والعراق، مما اوقعها في ثقب كوني، ليس من السهل عليها الخروج منه بأقل الضررين.

ان حقائق العصر لاتحضى على كل مهتم بالشأن العام، ولذلك فالاستناد الى امكانات القوة لايديم الزخم لأي متنفذ، لكونها امكانات متغيرة وسريعة التبدل. كما ان التصورات المسبقة عن الازمات والاحداث الحاصلة تتقاطع مع الحقائق المعبرة عن نفسها على الارض، وهي احدى نقاط الضعف والقتل للآباطرة وامبراطورياتهم، بسبب الغرور والتسلط والاستهانة بالاخرين، وهو ما دأبت الولايات المتحدة الامريكية، على التعامل به، في كل اجراءاتها وانشطتها في حقل السياسة الدولي، متناسية بذلك القاعدة الذهبية، التي تقول: «دوام الحال من المحا».

الفصل الرابع
الوقائع والافاق

كل حرب تؤسس مرجعية لها، ولان الحرب الباردة انتهت بانتصار الولايات المتحدة الامريكية، فقد بات من اللازم ان تكون هيمنتها الطاغية، هي المرجعية الاساسية للنظام الدولي، خارج كل اطارات العمل الجماعي، بما فيها الامم المتحدة التي استخدمت كممر او جسر لكل القرارات الامريكية بعد ان تبرقعت بالشرعية الدولية، التي اضفى عليها رضا وقبول الاطراف الدولية الاخرى، للمطالب والرغبات الامريكية. ولأن الولايات المتحدة الامريكية، لم تكن قد هيأت نفسها للتعامل مع مستجدات العصر الجديد الكثيرة والمتعلقة، فقد بدا ان أداءها يميل اما للفوضى والانفلات، واما للغرور المطلق، جراء حجم المشاكل التي واجهتها وبطريقة تراكمية سريعة، لم تعطها القدرة والوقت على ترتيب اوضاعها وبالشكل الذي يضمن لها انتقالاً هادئاً لمركز القوة العالمية الجديد. ولذلك فأنا نرى ان سقوط الاتحاد السوفيتي اشبه بانهيار سد مأرب، ازاء مالحق هذا السقوط من متغيرات عميقة على المستويين العالمي والانساني، رافق ذلك غرور القوة والعنجهية والتكبر، التي طبعت السلوك الامريكي بعد انتصارها في الحرب الباردة، مما افقد معالجاتها، الكثير من الموضوعية والاتجاه الصحيح، مما يعني ولادة مشاكل جديدة تضاف لما سبقها، الامر الذي يثقل الاداء السياسي بالكثير من الحوامل. وقد تؤشر في هذا الاتجاه، بأن الولايات المتحدة وبالنظرة والتصرف البراغماتي، غير مستعدة لتحمل اعباء المجتمع الدولي وحدها،

بعد افول نجوم كثيرة كانت مشاركة لها في هذه المسؤولية، مما دعاها، ان تترك للفوضى الخلاقة الفرصة في حلحلة الكثير من المشاكل بالتدافع الذاتي، دون ان تكون تلك الحلول متقاطعة والتوجه الامريكي، وهذا مابان في الكثير من القضايا التي تعاطت معها الولايات المتحدة الامريكية، كمرجعية رئيسة للنظام الدولي الجديد، الامر الذي اقلق المجتمع الدولي ودفعه لاشكال عديدة من التطرف، انعكست بأشكال من التأزمات والتوترات الكثيرة التي باتت سمة العصر الجديد الذي تلعب فيه الولايات المتحدة، الدور الرئيس والطاغي في كل الشؤون العالمية. لذلك فان ماحصل من حروب وتوترات وتأزمات، في عصر الهيمنة الامريكية، يفوق بعدده وحجمه وآثاره المدمرة، ماحصل في اي وقت سابق مر به المجتمع الدولي، وتحت أي شكل من اشكال المعادلات الدولية التي تعنى بلعبة الصراع الدولية.

لكن الملاحظة الرئيسة الجديرة بالتسجيل، أن ماتوافر للولايات المتحدة الامريكية من زمن باتت فيه سيد العالم وحاكمه المطلق، لم توظفه لخدمة المجتمع الدولي، بقدر ما ظلت محكومة بأرثها الاستغلالي والمرابي، حتى وان ادت تلك السياسة لاشكال عنيفة يمر بها المجتمع الدولي، وعليه فقد، ظل الانطباعان – الغرور والفوضى – ملازمين للسياسة الخارجية الامريكية منذ انفرادها بالمسرح السياسي الدولي ولحد الآن، وهذا ما ثلم من هيبة ونفوذ الدولة الاعظم في الوقت الحاضر.

فضلاً عن ذلك، فأن الولايات المتحدة الامريكية تعد الحرب في أحيان كثيرة الوسيلة الوحيدة لحل منازعاتها مع الاطراف الاخرى،

ويمكن ان نجد ذلك واضحاً في عدد معاركها، فهي دخلت في اكثر من «٣٠٠» معركة ضد الاخرين «انكليز، فرنسيين، وأسبان، والمان، ويابانيين، وهنود حمر، وعرب، ومسلمين... الخ» علماً ان تاريخ هذا البلد كله، لايزيد عن خمسة قرون!!! كما لم يمتلك الامريكان، طوال مساهمتهم في الشأن الدولي، الصبر التاريخي في ادارة الازمات والمشاكل والنزاعات، بل كانوا يعطون للحرب اولوية لحل كل مايعترضهم. ورغم ان الحرب، امر وارد في حياة كل الشعوب، الا ان الامريكيين يعدونها وسيلة أولية وراجحة لحل المشاكل، وهذا امر متأت من التجربة التاريخية والحياتية التي مر بها هذا البلد وناسه ابتداء من اكتشافه وانتهاء بهيمنته على الشؤون الدولية في الوقت الحاضر.

لقد فشلت الولايات المتحدة الامريكية في تكييف ماتحقق لها، من هيبة وقوة ونفوذ، بعد انتهاء الحرب الباردة، امام العالم، بسبب غرور سياسيها وغطرستهم واستخدامهم التفكير الحدسي، والذي يعني القفز عن الدرجات المنطقية في التفكير والوصول اساساً الى النتيجة. وهذا الاتجاه يحمل نقصاً في الوعي والمعرفة، مما يؤدي الى اتساع ظاهرة الشك بالناس والظواهر المصاحبة للحياة، وهذا مادفع هذه القوة الباذخة تحت حكم الاضطرار ان تلج بنفسها في مشاكل عديدة، سببت توتراً دائما للسلم العالمي، وافقدتها الكثير من مصداقيتها وهيبتها، مما دعا صناع السياسة الامريكية، ان يدفعوا بقوتهم العسكرية أن تتكلم عن نفسها، وكأنها الخطاب السياسي الوحيد الذي تجيده القيادات الامريكية في هذا الظرف، بل ان البعض وجد ان القوة العسكرية اصبحت عنصراً مركزياً

من الهوية القومية الامريكية[١]، رغم كون الولايات المتحدة، هي القوة الوحيدة والمهيمنة في هذا الوقت في عموم العالم.

وبعكس ماكان متوقعاً، بأن انتهاء الحرب الباردة، سيجلب للعالم اوقاتاً طويلة من ا لسلم، فقد بات انفراد الولايات المتحدة الطاغي على المسرح السياسي، يشكل خللاً في البيئة الامنية لعموم المجتمع الدولي، بسبب عدم نجاحها في توظيف ما تحقق لها بشكل ايجابي، بل ان ماحصل اوضح أن اشكال وحجم وآثار الحروب التي حدثت في ظل الهيمنة الامريكية، كان اكثر وجعاً واشد ايلاماً على المجتمع الدولي مما حدثت من سابقاتها ايام الحرب الباردة.

ومن الغرائب التي لايمكن حجبها، ان ماتوافر للولايات المتحدة، من ارث انساني وحضاري، تعاون المجتمع الدولي باكمله، على انضاجه عبر مسيرته الحضارية، فشلت هذه القوة الطاغية، من الاستفادة منه، وبطريقة عبثية ومتكبرة، بحيث دفعت احد الوزراء الامريكان البارزين ان يصف القارة الاوربية بـ «القارة العجوز» بسبب عدم تطابق الموقف الاوربي، مع الموقف الامريكي، وبالطريقة التي يريدها الامريكان، بشكل التبعية المطلق. فضلا عن ذلك، فان ماقدمه الكثير من مسوقي ومروجي السياسة الامريكية ممن قدموا انفسهنم كمنظرين للمرحلة الحالية، مثل «فوكويا، وهانتجتون، وفرديدمان... الخ». اعطوا الكثير من المسوغات التي تحتاجها السلطة في تقديم خطابها السياسي، والمطبوع

١ـ اندروبا سيفيتش ـ الامبراطورية الامريكية ـ ط ١ ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ٢٠٠٤ ـ ص١٦٣

بـالعنف والتخويـف والـدمار، ولـذلك شـاعت مقـولات «صـدام الحـضارات» و «نهايـة التـاريخ» و «الـصدمة والرعـب» و «الحـرب الاستباقية» وغيرها الكثير، ممـا يحفـل بـه قـاموس الغطرسـة والعـدوان الامريكي. ولقد كانت مثل هذه الطروحـات عميقـة في مغالطاتهـا، مـن خلال ركوب الايديولوجيا، بأسم العلم، للخروج بنتائج محدودة[١]. لكن الأكيد ان هذه المفـاهيم تكمـن قيمتهـا الاساسـية في نزوعهـا الى تهيـيج الحضارات بعـضها ضـد بعـض، والعمـل عـلى صـناعة الـدمار العقـلي والروحي، فضلاً عن تغذيتها الاتجاهات العدمية بشكل كبير.

ولقد حقق الشكل الديمقراطي في الولايات المتحدة تبـوأ المحـافظين الجدد، العديد من المواقع المؤثرة في صنع ورسم وتنفيذ السياسة الخارجية الامريكية، وكان لهذا الاسـتحواذ الكثـير مـن الانعكاسـات ذات البعـد الدولي. علماً ان مدرسـة المحـافظين الجـدد، تقـوم عـلى معتقـدات شـبه ايديولوجية، تملي عليها استراتيجيات عامة في السياسة الخارجية، وتسعى الى اعادة بناء الهوية بعد الحرب الباردة من خلال اتجاه لاعادة انتاج عـدو جديد للغرب، وكان المرشح الاكبر في تقديرهم «الاسلام» لما يشكله من وهج، يستقطب الكثير من المريدين والانصار. كما طـالبوا باعـادة النظـر بقوانين الهجرة وضرورة احياء العودة الدينية الاصـولية[٢]، وهـم بـذلك

١ـ علي الصالح مولى ـ الوجود والعدم: دراسة تحليلية نقدية لعلاقة الأنا بالاخر ـ مطبعة التسفير ـ صفاقس / تونس ٢٠٠٦ ـ ص٦٤

٣ـ هـادي قبيس ـ السياسة الخارجية الامريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ٢٠٠٨ ـ ص٣٩

يريدون الغاء الميراث المشترك للانسانية، وفاتهم ان الـه الجميـع، هـو الـه واحد، وهو اله اخلاقي رحمـن ورحـيم ومجيـب ورازق، وهـي الرسـالة الغالبة في حياة جميع المخلوقات البشرية، متجاوزين في ذلك عـلى قاعـدة ذهبية تقول، بأنه على أي متعاطي بالعمل السياسي، فصل الدين عن عـالم السياسة، من خلال تحرير المنطق من المعتقدات التي تتجاوز المنطـق، مـع ضرورة ان يتعلم السياسي، من خلال معرفته بالدين، امكانية اسـتخدامه لخدمـة الهـدف الاسـتراتيجي[١]، لان اي سـلوك في فـرض الـدين عـلى السياسة، من خلال تقنينة، فهو اضعاف للهيمنة الروحية التـي يحتلهـا في قلوب الناس، لكن الولايات المتحدة، جلبت الدين كـسلاح، لاسـتعماله وفقاً لأولوياتها، مما اضر بالدين وشوه العمل السياسي.

ان الاسلام يعترف بكل الديانات السماوية التي سبقته، ويعطيها مـن الاحترام والتقدير، الشيء الكثير، بل انه يؤكد، ان حصول ذلـك، شرط ضروري لاسلام اي مسلم ﴿قولوا أمنا بالله وما انزل الينا ومـا انـزل الى ابـراهيم واسـماعيل واسـحق ويعقـوب والاسـباط ومـا اوتي موسـى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لانفـرق بـين احـد مـنهم ونحـن لـه مسلمون﴾[٢]، رغم ان الفهم الاورو – امريكي، للقرآن يعده ديناً طبيعيـاً وليس الهياً مؤكدين بـذلك الغـاء العقـل وحـضور المـصالح واشـكال التنـافس، ممـا يـسيء للحقـائق الكونيـة، التـي تـشير لحقـائق الاسـلام

١ـ مادلين اولبرايت ـ الجبروت والجبار ـ ترجمة عمر الايوبي ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ٢٠٠٧ ـ ص٣٨

٢ـ سورة البقرة ـ اية: ١٣٦

وجوهريته، ولعل في قصة الخلق التي ذكرها الله في محكم كتابه الكريم، الدلالة لمن اراد التعامل مع عقله. كما ان هناك احساس بالتوحد بقدرماموجود من تنوع، بين الاديان حتى بعد تلقيهم الوحي الالهني، ولعل في قصة ابوينا «آدم وحواء» التي حوتها كل الكتب السماوية، مرشداً لمن زلت به الاوهام بعيداً عن منطق الحق.

وفي دلالة قصة سيدنا «اسماعيل» مايؤكد ان الله لايريدنا ان نقدم الاضافي من الخسائر من بني البشر. فضلاً عن ذلك، ان الوصايا العشرة، التي تعتمدها كل الفرق المسيحية، هي رافد واحد، لكل الاديان الابراهيمية، كما ان اركان الاسلام الخمسة، هي قناة مشتركة مع الاديان الاخرى، لاتتقاطع مع مفاهيمها لمركزية، هذا غير ان الاسلام في تكامليته، يحترم ويقدس ماسبقه من اديان، ويترك المؤمنين بها لتطور الناموس الالهي، وفي ذلك رقي لايوصف للفهم المتبادل، البعيد عن التزمت والانغلاق. كما انه دعوة للتحاور، بما يهيىء الجميع للوصول الى المقتربات الالهية ونظرتها العالية للجنس البشري.

ففي هذه اللحظة التاريخية، وبحكم طغيان الولايات المتحدة الامريكية، في جميع الشؤون الدولية، فقد دفعوا اصوليتهم الدينية نحو الادلجة، اي جعلوها أحد اقانيم البروتستانتية المطبقة والمرضي عنها، معيدين بذلك انتاج مفردات طغت في ايام الحروب الصليبية، في حين ان التاريخ وقائع وليس ايديولوجيات وهذا مايؤكد ان اي فلسفة دينية، تقف على مرتكزات العنف والكراهية والتكبر، في وقت تحتاج البشرية الى التواضع والانصاف واعتماد النسبية في تقويم الافراد والامم، لهي بؤرة

عنف دائمية تشكل خطراً ماحقاً، بسبب معتقداتها المتزمتة والمنغلقة على نفسها. ولذلك فأن التكبر والغرور في العصر النووي، ليس انحرافا اخلاقياً فقط، بل هو يحمل بين جنبيه، بذور الكارثة.

ان الاطلاق في المواقف غير ملائم لاية مرحلة، مع مايرافقه من التعمد في الخلط بين الافكار الدينية والاوهام الدينية، ومايجره هذا الامر، من التباس في فهم الناس ومزاجهم، مما يؤدي الى توتر الاجواء واغلاق منافذ التواصل. الامر الذي يستوجب التمييز بين الدين والسياسة، لأن الخلط بينهما يؤذي الدين ويخدم السياسة، خاصة في استحضار الماضي لتأسيس المستقبل، لذلك، فأن النجاح في هذا الجانب، يتوقف على الفصل بين ماهو سياسي وبين ماهو ديني. «أي اعادة الدين الى نطاق سلطته الحقيقية، من خلال علاقة الفرد بربه وعلاقته بالمجتمع، وتحرير العقل من سلطة المؤسسات الدينية»[1]، وهذا يعني، انه كلما كان التمييز واضحاً، كلما تمكن الجميع من التحرر من اثقالهم. فالدين نظام قيم واثراء روحي وليس سلوكيات امرية واجبارية، بل هو ضمير قبل ان يكون سلطة او مؤسسات دولة، وفهم ذلك يتيح ان تكون التسوية ممكنة في اي نزاع، حينما يتوقف المتخاصمون، عن تجريد بعضهم بعضا من الصفات الانسانية، ويبدأون برؤية شيء من انفسهم في عدوهم، لأنه حينما يسعى الناس لتحقيق الهدف المشترك لاكثر من جهة مختلفة عليه، يجب ان يكون كل جانب، قادراً على فهم دوافع الاخر، ولتسوية خلافاتهم، ماعليهم الا

١ـ صحيفة المشرق / بغداد ـ حوار مع المفكر العربي نصر حامد ابو زيد ـ العدد (١٥٠٥) في ٢٠٠٩/٤/٢٩

ايجاد صيغة لتقاسم مايريده كلاهما[1].

مثلما في كل دين مساحة من المقدس، ففيه ايضا الافكار الدينية، التي تمكن المؤمنين بها، من تبادل الحوار الحضاري مع الطرف الآخر، خاصة وان جميع اصحاب الديانات السماوية يعلنون رفضهم لأية فكرة، تعتمد الاكراة والعنف، لكن البعض من رجال الدين مغرمون بالطرح الذي يرغب به الجمهور، ولذلك تجد الانفلاتات غير المقبولة في مايقوله بعض المتعصبين، مثل القسيس «بيلي غراهام» أو ابنه «فرانكلمين» و «أيمن الظواهري» و «ابو حمزة البغداد» و «افغيدور ليبرمان» و «بنيامين نتنياهو» وغيرهم ممن تلبستهم الافكار المتزمتة والعنصرية، التي تشكل انكسارات حقيقية في سعي المجتمع العالمي، لمفهوم الانسانية المشترك، لأن، اي سجالات حادة ومتطرفة لاتوصلنا للحقيقة، بل ستأخذنا، تحت هذه الحجة او تلك، نحو التمترس والتخندق، ومحاربة كل طروحات الطرف الآخر، حتى وان كانت مقترباتها تشكل رافداً واحداً مع مفاهيمنا. وهذا مادفع ان يسهم التطرف الاورو – امريكي، في ايقاظ تطرفاً مماثلاً عند المسلمين.

ان احد اهم اسباب التوترات القائمة في العلاقة بين المسلمين والمجتمع الاورو – امريكي، يكمن في الاخطاء القاتلة في فهم الطرفين لبعضهما. ولعل في الصور النمطية عند الغرب، وتحديداً في الولايات المتحدة الامريكية عن الاسلام والمسلمين، صور عدوانية ومشوهة، كما ان النظرة المختزنة في المخيلة الجماعية، التي هي مكونة من الايديولوجيا

---

١. مادلين اولبرايت ـ مصدر سابق ـ ص٨٤

وعناصر من الديانة المسيحية – اليهودية، تشكل ارضية اسناد لكل القرارات الظالمة وغير المنصفة التي اتخذتها الولايات المتحدة، ضد الكثير من القضايا الاسلامية، بحكم ماتراكم من نظرة مسبقة وتقليدية، شكلت خلفية صلدة لدى صناع القرار السياسي في الولايات المتحدة الامريكية[1]. ولعل في وصف الرئيس الامريكي - بوش الابن – للدين الاسلامي، بأنه «فاشية اسلامية» وكأنه بذلك يريد الباسه لبوساً لم تألفه المجتمعات الاسلامية، بقدر ماكان وليد المجتمعات الغربية، شكلا من اشكال الفهم المسبق والمعبأ بايديولوجيا الكراهية والبغض للطرف الآخر. وهذا الوصف، وبطريقة التعميم التي استعملت، امر خطير ومدمر، بسبب ان الرئيس الامريكي، صا حب اقوى سلطة في العالم في الوقت الحاضر.

يقول المفكر الجزائري – مالك بن نبي – «الانسان الغربي لايحمل فضائله خارج عالمه» وهذه حال السياسة، لانها لاتقوم على القناعات ولا على المباديء السامية، لكنها تخضع لتحولات علاقات القوة وحدها، وما لم يكن الطرف الذي يطالب بتغيير السياسات، قادرا على دعم مطالبه، بما يجعلها اجبارية، او بما يجعل من الصعب التجاوز عنها من دون كلفة، او دفع ثمن كبير لهذا التجاوز، فلن يكون لدى الخصم اي مصلحة في الاندفاع بنفسه لاحداث التغيير. ولذلك فأن «على الولايات المتحدة عدم التراجع عن منطق القوة، لانها بذلك تجازف بالعنصر الاساسي في

---

١. *Fauaz aerges ـ America and Political Islam ـ UP Kambreg ـ London* ١٩٩٩ ـ *P:* ١٣٦

سلطانها العالمي»[١]، ومثل ذلك يجعل المخاطر عالية من ان تتحول هذه الدولة، الى دولة فاشية، لاعتمادها على سياسة القوة المفرطة التي تتوارى امامها الاهداف الانسانية والضمير الانساني[٢].

الامبراطوريات والطغاة والجبابرة، يستشعرون احيانا حاجتهم لسواتر اخلاقية، وهذا مافعلته الولايات المتحدة الامريكية في كل حروبها التي دخلتها منذ انفرادها بالهيمنة الدولية. وان ظهرت خروقات هنا او هناك، فأنهم يطلبون من الاخرين، الصمت ازاء الظلم الواقع عليهم، لكونه _ وبحسب فهمهم - يؤدي واجبه، حتى يجيء دور النسيان ليسدل استاره الى الابد. أو أنهم يمارسون سياسة الترويض والتطويع، ضد كل من يشكل ازعاجاً او تهديداً لخططهم، فأن نجح هذا الاسلوب، فهذا هو المطلوب، وان كانت الاخرى، فان سبيل الحرب هو الفيصل. وقطعاً ان الدخول في حرب مع الدولة الاعظم وبأمكاناتها الهائلة والمعروفة، أشبه بمن يقلد واقعة «الماسادا»(*) كطريق له في مسرح السياسة الدولية.

ولذلك فأن ابرز مظاهر احترام الامبراطوريات، انها لابد ان تعطي

١ـ *Leslie H. Gelb ـ Power Rules: How common sense cau Rescue American Foreigm policy . New York . Harper Colliues* ٢٠٠٩ . *P:* ١٧٣

٢ـ نفيز مصدق احمد ـ الحرب على الحرية ـ الاهلية للنشر والتوزيع ـ عمان / الاردن ٢٠٠٣ ـ ص٣٧٥

(*) الماسادا: اسم قلعة شهدت انتحارا جماعيا لمقاتليها من اليهود، بعد ان طوقتهم القوات الرومانية عام ٧٣م، واقدموا على فعلهم ذلك، حفاظا على اسرارهم وتضحية في سبيل العقيدة. ويعتقد الكثيرون ان هذه الواقعة جزء من الاساطير «الاسرائيلية» المروجة لغرض ابراز شجاعة وقيم الشعب اليهودي.

الناس قيمها وقانونها وتراثها واشكالها الحياتية، حتى ولو كانت في لحظة انحدار، وهذا مالم تفعله الولايات المتحدة الامريكية، رغم كونها في اثرى حالاتها. دون ان ننسى، ان اي تصرف او موقف، يكون شديد الغنى بالتجربة الانسانية، سيعمر اكثر ويصبح دلالة للاخرين. بل أنه لاقيمة لموقف او لتاريخ او لتجربة اذا لم تقدم اضاءة للمستقبل، مطورة اساليبها وقدراتها. فالولايات المتحدة الامريكية «ليست بحاجة لجيش كبير، انها بحاجة لسياسة خارجية نافذة، بعيدا عن اوهام الابهة التي بثتها نهاية الحرب الباردة»[1].

ومن اخطر تداعيات تساقط الامبراطوريات، فيض القوة او فيض الفضائح. وفيما يخص الولايات المتحدة الامريكية، فأن فيض القوة الذي تملكة، قد ارتد عليها خسائراً وتكاليفاً في اكثر من مسرح، بعد ان تجاهلت قدرتها وهيبتها، تحت لافتات ودعاوي أصولية متزمتة، فكانت النتيجة اشبه بالكارثة.

اما فيض فضائحها في الخمسين سنة الاخيرة، فقد تمثلت بثلاث انزلاقات لايمكن التستر عليهن، الاولى: فضيحة ووترغيت عام ١٩٧٤، والتي اطاحت بالرئيس - ريتشارد نيكسون – من سدة الرئاسة، في سابقة لم تشهد الولايات المتحدة مثلها طوال تاريخها، بعد اتهامه بالكذب تحت القسم، وتستره على الخروقات التي قام بها فريقه الانتخابي ضد منافسيه الديمقراطيين، وبما شكل سابقة جديدة في الحياة السياسية الامريكية، والثانية: فضيحة المتدربة في البيت الابيض – مونيكا لوينسكي

١. اندروباسيغيتش ـ مصدر سابق ـ ص٢١٨

- مع الرئيس - بيل كلنتون – عام ١٩٩٨، والتي سا وت موقع الرئاسة ومكانه، بأي ما خور للدعارة، بحيث دعت تلك الفضيحة، احد السياسيين الامريكيين، بأن يصف مدة رئاسة الرئيس - كلنتون – والممتدة من ١٩٩٢ - ٢٠٠٠، بأنها فاصل جنسي، ازاء ما حفلت به من فضائح جنسية، تتعلق بسلوك الرئيس، التي كادت ان تطيح به، لولا خشية المشرعين الامريكيين من تكرار تجربة عام ١٩٧٤، مما يهز مصداقية الموقع الامامي في النظام الامريكي، وهي الفاصلة الوحيدة التي حمت الرئيس من الاقالة، احتراما للوضع العام وليس الى وضع الرئيس الذي لايمكن التستر عليه، والثالثة: فضيحة - ابو غريب - التي حدثت عام ٢٠٠٤، بعد الغزو الامريكي للعراق، وفضحت كل المستور مما تدعيه الولايات المتحدة، من رعايتها لحقوق الانسان واحترامها للخيارات الانسانية، حيث ابانت الفضيحة فضيحة، للعالم، مدى الهمجية والتعسف والقهر الذي مارسته الولايات المتحدة ضد خصومها، وبأشكال فاشية لايمكن الدفاع عنها، بعد ان اطل العالم على هذه السلوكية الفظة من خلال الصور التي سمح بنشرها، والتي ستظل علامة بارزة في مجرى التاريخ، للفهم الامريكي لحقوق الانسان وخياراته الحياتية، لكن بطريقة همجية، ووفقاللرؤى والتطبيقات التي مكنت رعاة البقر من ممارستها ضد الناس العزل. وكانت اصداء هذه الفضيحة قد اسقطت كل احترام الولايات المتحدة الامريكية في المجتمع الدولي، بعد ان بدا، ان ماحدث في ابو غريب، سلوك امريكي اعتيادي، تجاه الاخرين، اياً كان لونهم او دينهم او جنسيتهم لأن ماحصل انعكاس لعقلية وثقافة وفهم فاعليه، كما ان

حدوث ذلك شكل انتقالة نوعية وخطرة في فهم المجتمع الدولي للسلوك الامبراطوري الامريكي، المتمسك بذاته وذرائعيته بشكل نرجسي متزمت.

كل ذلك يدفعنا ان نرصد ابرز الاتجاهات العالمية المحتملة خلال العشر سنوات القادمة، في ضوء التطورات التي يشهدها العالم، والتي تتحكم في آلية العلاقات الدولية بين الاطراف المتنافسة او المتحالفة والتي على عداء دائم من خلال مراقبة جهد كل المتطلعين لتغيير موازين القوى او الراغبين بالاحتفاظ بما هو موجود على الساحة. وقد رصد التقرير الصادر عن مجلس الاستخبارات الوطني الامريكي، ابرز هذه الاتجاهات، وشخصها بـ[١]:

* ان النظام الدولي القائم، سيشهد صعود قوى جديدة على المسرح الدولي، مثل روسيا والصين والهند والبرازيل وغيرها، الامر الذي يؤدي الى قيام نظام دولي متعدد الاطراف، فضلا عن تزايد عدد المنظمات والقوى غير الحكومية. وتعليقنا على هذا، يكمن في رصدنا لحركة الولايات المتحدة الامريكية على المسرح الدولي، وهي حركة اتسمت بالفوضوية والارتجال والعدوانية، ضد الجميع، بما فيهم اصدقائها وهذا ماساعد على تقليص المدة الزمنية التي تمتعت بها كقطب وحيد ومهيمن. كما ان توجه النظام الدولي لهيكلية تعدد الاقطاب، أمر نافع ولصالح المجتمع الدولي على المستويات كافة. وقطعاً ان ذلك التحول نحو

---

١. *National Lntelligence council .[NIC] . Global Trends ٢٠٢٥: A Trans Formed World . November ٢٠٠٨*

التعددية القطبية لن يكون هادئا وسلساً في جميع الاحوال، بل سنشهد تأزمات ومخاشنة ومعاركاً بين من يرغب باستمرار الوضع الحالي، وبين من يتطلع للتغيير.

* كما رصد التقرير، ان الولايات المتحدة الامريكية، ستبقى الاقوى على المسرح الدولي للمرحلة القادمة وتعليقنا على ذلك، ان هذا امر مؤكد، تعود المجتمع الدولي على التعامل معه، لكن شكل وحجم سيطرتها ونفوذها، سيكون اقل مما هو عليه الان، وهذا عائد للنظام الدولي القادم، وكذلك للدول والتكتلات التي تتعامل معها الولايات المتحدة والتي ستكون حتما، قد انتقلت لمرحلة اكثر صلابة مما عهدتها الولايات المتحدة الامريكية في وقت سابق. واهم الفواعل التي ساعدت على عدم القبول العالمي بالانفراد الامريكي، غرورها واستعلائها ونرجسيتها، مما قوى من ارادة المطالبين بالتغيير، حتى مع القبول ببعض الخسائر الوقتية.

كما اشار التقرير، ان مسار انتقال الثروة من الغرب الى الشرق، سيبقى مستمراً، وان دولاً كروسيا والصين ستستفيد من هذا الانتقال. ونرى في هذا الموضوع، ان شكل الانتقال المحتمل، متأت من الرغبة في تحقيق اقصى حد من الارباح للرأسمال المالي، وليس عن محبة ورغبة في خدمة شعوب الشرق، هذا اولاً، وثانياً ان هذا الانتقال سيجنب المجتمعات الغربية الكثير من المخاطر البيئية والصحية والحياتية التي تصاحب الانتقال التكنولوجي الواسع، في البيئات الجديدة. ولذلك فالانتقال لم يتم بالرغبة، بل بحكم الاضطرار والاستفادة.

* وقدر التقرير، ان النمو الاقتصادي العالمي، سيستمر وتصاحبه زيادة سكانية كبيرة، الامر الذي يفرض ضغطاً على الطاقة والغذاء والموارد المائية. ونرى ان ذلك التقدير في هذا الشأن، لم يكن دقيقاً، ولعل في الازمة المالية والاقتصادية التي يعيشها الاقتصاد العالمي منذ اواخر عام ٢٠٠٨، والمرجح استمرارها لاكثر من ثلاث سنوات، توضح بدلائل اكيدة، أن الشكل العبثي الذي مارسته الولايات المتحدة، في حقل السياسة الخارجية، والذي بدد واستنزف الكثير من الموارد والطاقات، كان السبب الرئيس لهذه الازمة، والتي لايمكن التعافي منها، قبل ان تغير الولايات المتحدة خطوط نهجها ومعالجاتها مع جميع دول العالم. وان كان البعض يراهن على سياسة الرئيس - أوباما - التي ترغب في العودة لممارسة سياسة القوة الناعمة «*Soft Power*» بالتغلب على هذه الازمة، من خلال تصحيح مسار السياسة الخارجية الامريكية. لكني ارى، ان مجيء - اوباما - تغيير صورة وليس تغيير منهج. اما موضوع الزيادة السكانية، وما تشكله من ضغوط على الطاقة والموارد والغذاء، فأننا نجد في ذلك تقديرين، الاول: ان الاستخدام الامثل والمخطط للثروات والموارد والغذاء كفيل بأن يفي حاجات المجتمع الانساني، والثاني: ان شكل نظرية «مالثوس» يجد مجاله التطبيقي في حقل السياسة الخارجية التي ستشتعل بالعديد من الحروب والكوارث التي تتيح للقوى النافذة استمرارية الانفراد بالاستحواذ.

* ورأى التقرير، ان امكانيات النزاع في الشرق الاوسط، ستزداد نظراً الى التغيرات السريعة في عدد من بلدان المنطقة، وقد تزداد مسؤولية

الولايات المتحدة في الموازنة بين قوى الصراع في مناطق النزاع ولن يكون بالامكان تحقيق الاستقرار دون تسوية الصراع العربي- الاسرائيلي واستقرار العراق. وتقديرنا، ان منطقة الشرق الاوسط، منطقة رخوة منذ سقوط بغداد عام ١٢٥٨ م على يد المغول، وهذا مالاحظه والتقط تأثيراته الامريكان، حينما خرجوا للتعامل مع سياسات العالم. وقد زاد ضعف ورخاوة هذه المنطقة بعد الهيمنة الامريكية عليها، مما دفع اوضاعها للتأزم الدائم، الامر الذي يدفع الامريكان لممارسة سياسة فرض الامر الواقع في الحلول التي يجدونها ملائمة للمنطقة، حتى مع الانظمة المتطابقة معهم، بعد ان تيقنوا بفساد وعدم صلاحية هذه الانظمة على الاستمرار لمرحلة قادمة. ففي السياسة، هناك ثمن لكل قرار، ولذلك فأن الولايات المتحدة، تعتقد، ووفقاً للعبة الضغط والاستجابة، ان زعزعة استقرار هذه الانظمة، سوف يجعلها اكثر خنوعاً وتبعية لها[1].

اما ان تسعى الولايات المتحدة لتحقيق وجود الدولتين على الارض الفلسطينية، فأنا اشك بذلك، واجد مسعاها في هذا الجانب، لايزيد عن كونه اعلان سياسي لاغير، يهديء الاطراف العربية، ويلهيها عن الفعل الحقيقي، بسبب تشبع الساسة الامريكان بالاصولية المتزمتة التي تقترب من الايمان الطلق، التي تجد في ضرورة سيطرة ودعم دولة «اسرائيل» على كامل الاقليم الجغرافي، تحقيقاً للنبوءات التي تمهد العودة الثانية للسيد

---

١. د. حميد حمد السعدون ـ الدور الاوربي المرتقب في المنطقة وتأثيراته المتفاعلة ـ الملف السياس ـ مركز الدراسات الدولية ـ جامعة بغداد ـ العدد (٤٨) كانون الثاني ٢٠٠٩ ـ ص٦

المسيح[١].

* وشخص التقرير، احتمالية اختفاء الارهاب عام ٢٠٢٢، شرط ان يستمر النمو الاقتصادي في الشرق الاوسط، وتنحفض نسبة البطالة. ومن جديد يقع التقرير وواضعيه، في وهم التصورات المسبقة، التي تقدمها لهم الاحصاءات المكتبية، المفتقرة الى الدقة. فالارهاب، لن ينتهي مادامت سياسات الولايات المتحدة تتصف بالانحياز والانتقائية والابتعاد عن الانصاف في معالجة الازمات الدولية. كما انه ليس في الافق، دلائل، على حدوث مثل هذه التغييرات حتى مع الادارة الامريكية الجديدة «ادارة أوباما»، رغم تصريحات مشجعة ومطمئنة في هذا الاتجاه والسبب، ان السياسات العليا للدولة، لاتخضع للاهواء، مع تسليمنا بأن قيادة الدولة، لها رؤى في تطبيق وتصريف هذه السياسات، على ان لاتخرج عن مساراتها الاستراتيجية. لذلك فمسارات الدولة الامريكية العليا، لم تتغير لحد الآن، الامر الذي يستوجب ايضا بقاء الاشكال المناوئة لها كقانون طبيعي للاستجابة.

اما موضوع تخفيض نسبة البطالة، فالأمر غير دقيق لاسباب عديدة، يقف في مقدمتها، ان جميع بلدان الشرق الاوسط، قد اخذت بنظام اقتصاد السوق، الذي تشكل ظاهرة البطالة، ابرز سماته الاساسية، ولذلك فالتقدير لاينم عن حقائق دقيقة. فضلاً عن ذلك، ان الكثير من ظواهر السوق الرأسمالية «تضخم، وانكماش، وعجز،... الخ» ستصدرها الدول

١ـ غريس هالسل ـ يد الله ـ ط١ ـ ترجمة محمد السماك ـ دار الشروق ـ القاهرة ٢٠٠٠ ـ ص٦٢

الرأسمالية الكبرى، لاقتصاديات بلدان الشرق الاوسط مما يزيد من اعباء نموها المرتقب، ويساعد بشكل ما، على بقاء ظاهرة الفقر، التي تنمو فيها وعلى مقربة منها، كل اشكال التطرف والارهاب، الامر الذي يعني، ولادة اجيال جديدة من اشكال الارهاب، الذي استطاع وبنجاح، تمرير نفسه واوضاعه مع العصر العولمي في احتمالاته كافة.

* كما رصد التقرير، عدم قدرة العالم في التحول، عن النفط والغاز، كمصدرين رئيسيين للطاقة حتى عام ٢٠٢٥. وتقديرنا، ان هذه المصادر الاساسية للطاقة، متوافرة ورخيصة، قياسا بما تحققه من خدمة لمستخدميها، زائداً، ان اكثر من ثلثي هذه الطاقة، تحت سيطرة واشراف الولايات المتحدة، تستطيع ان توجهها بالطريقة التي تخدم مصالحها وسياساتها. كما ان العلم لم يستطع لحد الان، ان يفتح طريقاً لبدائل مقبولة، عنها، فضلاً عن ان البحث، عن بدائل يستوجب توظيفات مالية هائلة، وهذا مالم تستجب له الاوضاع الحالية والاهم من كل ذلك، ان اغلب المردودات المالية، لهذه المصادر، يجرى توظيفها في تنشيط ودعم الاقتصاد الغربي، وفي المقدمة منه الاقتصاد الامريكي، وهذا مايجعلنا امام معادلة غريبة، تتكون اضلاعها، من عمودين رئيسيين: الاول: طاقة رخيصة ومتوافرة، وثانيهما: مردودات مالية هائلة تدير عجلة الاقتصاد الغربي. وازاء ذلك، تتوارى الجهود المخصصة للبحث عن بدائل عنها، وكل مايقال في هذا الجانب، يكون في احيان كثيرة صورة من صور الابتزاز.

الخاتمة

ان اى حوار حضاري لايمكن ان يتم الا في مناخ يتوافر على الايمان به وبنتيجته من خلال منع الصدام العنيف بين كل حضارات الدنيا، كما يستوجب على الاطراف المشاركة فيه ان تتحمل تبعاته، لانه لايوجد حوار ليس له ثمن، وهذا الثمن يأتي من التسامح وقبول الاخر والاعتراف بالحضارة الاخرى وانجازاتها والحديث عنها بحماسة ورغبة واعتراف وامانة بالقدر نفسه من الاستعداد والرغبة في الاخذ والعطاء من الاخرين من دون الشعور بالدونية او الاستعلاء، مع ضرورة ابعاد كل اشكال التسلط والاجبار وحضارة القوة الطاغية في هذه الايام بحكم ماتوافر لاحدى القوى العظمى من امكانات هائلة وغير مسبوقة وكل مانخشاه ان يتم توظيف تلك القدرات والامكانات بما يعارض المفهوم الانساني الخلاق.

ان تضييق مساحة الحوار الحضاري المتبادل بين الحضارات، تحت حجج ومسوغات بعضها يستند الى قاعدة اصولية موغلة بالتزمت، واخرى مستندة تحت الاغراء والغرور الى امكانات القوة المتوافرة لديها في هذه اللحظة، يوسع من خوفنا وخشيتنا لاعلى مبدأ الحوار الحضاري، بقدر مايتسع ليشمل كل حياة كوكبنا الارضي، خاصة ان هناك اسباباً متعددة، ترى ان حوار الحضارات لم يعد محل اهتمام، امام الاندفاع

الطاغي والاهتمام الزائد بأولويات الامن القومي ومحاربة اشكال العنف - المتعـدد الالـوان – والتطـرف واشـكال الهجـرة وانعكاسـاتها عـلى بنيـة المتجمعـات المـستقبلية للمهـاجرين، مـع التمـسك بالعولمـة وتطبيقاتهـا الوحشية والقاسية، والتي لاتطيق مقاومتها الشعوب الفقيرة والمتخلفـة، بحكم فارق الامكانيات. لذلك يكون من الضروري لفك التعبئة النفسية المتبادلة، وتبديد الصور النمطية المترسبة في الـوعي واللاوعـي عنـد كـل الاطراف، رفع كل العوائق السايكلوجية التي تنتصب حائلاً دون اطلاق حوار حضاري معمق وخصب، يثري الحياة الانسانية ويفتح امامها سبل التطور والتلاحق والابداع ويؤسس القواعد للتفـاهم حـول موضـوعية وربما شرعية حتى المختلف عليه، بافاق مفتوحة دون معطيـات وعوائـق مصطنعة.

ان التشويه والاساءة التي تعرضـت لهـا مفـاهيم الحـوار والانـصات والقبول، من كل الاطراف المتنافسة او المتخاصمة، يـستوجب تـصحيح المسار المنحرف، الذي استمكن على القلـوب والمـشاعر كلهـا، وبطريقـة تكاد ان تكون عدوانية، وفي المقدمة منه ضرورة تبيان مخاطر التطرف عند الاطراف كافة، ومدى اضرارهـا علـيهم، مـع العمـل، عـلى نـشر ثقافـة التسامح وتجذير اشكال الحوار المتبادل، مع التركيز على ان تصل نتائجهـا للقاعدة العريضة من الشعوب، لكي يتمكن الجميع مـن قطـف ثمارهـا، وبدون ذلك، فأن الامال التي باتت وعداً قد تخلف مواعيدها.

المصادر

اولاً : في اللغة العربية

الكتب

١ـ القرآن الكريم

٢ـ الكتاب المقدس

٣ـ ادوارد سعيد ـ الاستشراق ـ ترجمة كمال ابو ديب ـ مؤسسة الابحاث العربية ـ بيروت ١٩٨١.

٤ـ ابو الفضل محمد بن كرم بن منظر ـ لسان العرب ـ ج ١٥ ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦.

٥ـ ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ الملل والنحل ـ ج١ ـ تحقيق محمد رشيد كيلاني ـ دار صعب ـ بيروت ١٩٨٦.

٦ـ افغيني بريماكوف ـ العالم بعد ١١ ايلول ـ ط١ ـ ترجمة احمد الهاشم وفالح السوداني ـ دار المدى للثقافة والنشر ـ دمشق ٢٠٠٦.

٧ـ الفن توفلر ـ حضارة الموجة الثالثة ـ ترجمة عصام الشيخ قاسم ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ـ بنغازي / ليبيا ١٩٩٠.

٨ـ تحول السلطة: المعرفة والثروة والعنف في بداية القرن الحادي والعشرين ـ ترجمة حافظ الجمالي واسعد صقر ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ١٩٩١

٩ـ اليكسي جورافسكي ـ الاسلام والمسيحية ـ ترجمة د. خلف محمد الجراد ـ دار الفكر ـ دمشق ٢٠٠٠.

١٠ـ الياس فرح ـ في الثقافة والحضارة ـ دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ١٩٨٧.
١١ـ اندرو باسيفيتش ـ الامبراطورية الامريكية ـ ط ١ ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ٢٠٠٤.
١٢ـ اسماعيل صبري مقلد ـ العلاقات السياسية الدولية ـ مطبوعات جامعة الكويت ـ الكويت ١٩٧١.
١٣ـ اسرائيل شاحاك وتورتون كتفينسكي ـ الاصولية اليهودية في اسرائيل ـ ترجمة ناصر عفيفي ـ مؤسسة روز اليوسف ـ القاهرة ٢٠٠١.
١٤ـ برهان غليون ـ العرب وتحولات العالم: من سقوط جدار برلين الى سقوط بغداد ـ ط ١ ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ٢٠٠٣.
١٥ـ بوب وود وارد ـ حرب بوش ـ عرض وتحليل حسين عبد الواحد ـ الناشر مدبولي الصغير ـ القاهرة ٢٠٠٣.
١٦ـ ثروت قدسي ـ المسيحية والاسلام ـ دار البستاني ـ القاهرة ٢٠٠٦.
١٧ـ جورج سارتون ـ تاريخ العلم ـ ج١ ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٣.
١٨ـ حميد حمد السعدون ـ الغرب والاسلام والصراع الحضاري ـ دار وائل للطباعة والنشر ـ عمان ٢٠٠٢.
١٩ـ فوضوية النظام العالمي الجديد ـ ط ١ ـ دار الطليعة العربية ـ عمان ٢٠٠١.
٢٠ـ العولمة وقضايانا ـ دار وائل للطباعة والنشر ـ عمان ١٩٩٩.
٢١ـ حسن الكرباسي ـ مطالعات في الكتب المقدسة ـ ط١ ـ دار الكنوز الادبية ـ بيروت ١٩٩٥.

٢٢ـ حسين سعد ـ الاصولية الاسلامية العربية العاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير ـ ط٢ ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ٢٠٠٦.

٢٣ـ دومينيك فيدال ـ خطيئة اسرائيل الاصلية ـ ترجمة جبور الدويهي ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت ٢٠٠٢.

٢٤ـ روبرت سميث ـ جدوى القوة: فن الحرب في العالم المعاصر ـ ترجمة وتحقيق مازن جندلي ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ٢٠٠٨.

٢٥ـ رشاد الشامي ـ الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية ـ ط ١ ـ دار الهلال ـ القاهرة ٢٠٠٢.

٢٦ـ رضا هلال ـ المسيح اليهودي ونهاية العالم ـ ط ١ ـ مكتبة الشروق ـ القاهرة ٢٠٠١.

٢٧ـ زبغنيو بريجنسكي ـ رقعة الشطرنج الكبرى ـ ط ١ ـ ترجمة امل الشرقي ـ الاهلية للنشر والتوزيع ـ عمان / الاردن ١٩٩٩.

٢٨ـ سعد حقي توفيق ـ النظام الدولي الجديد: دراسة في مستقبل العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة ـ الاهلي للنشر والتوزيع ـ عمان ١٩٩٩.

٢٩ـ سمير أمين ـ مابعد الرأسمالية ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٨٨.

٣٠ـ امبراطورية الفوضى ـ ترجمة د. سناء ابو شقرا ـ دار الفارابي ـ بيروت ١٩٩١.

٣١ـ شيفي راكلفيسكي ـ اليمين الديني الجديد في اسرائيل ـ ترجمة سليم سالم ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت ٢٠٠١.

٣٢ـ شفيق مقار ـ قراءة سياسية للتوراة ـ دار رياض الريس للكتب ـ بيروت ١٩٨٨.

٣٣ـ صوفي بودي جندور ـ المجتمع الامريكي بعد ١١ سبتمبر ـ ط١ ـ مطبوعات المدرسة الوطنية للعلوم السياسية ـ باريس ٢٠٠٢.

٣٤ـ صموئيل هانجتون ـ صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي ـ ط١ ـ ترجمة مالك ابو شهيوة ومحمود خلف ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ـ مصرافة / ليبيا ١٩٩٩.

٣٥ـ عبد الرحمن بن خلدون ـ المقدمة ـ دار الفكر ـ تاريخ ومكان الطبع غير موجودين.

٣٦ـ عبد الرحمن حلي ـ حرية الاعتقاد في القرآن الكريم ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ٢٠٠٢.

٣٧ـ عصام عامر ـ الاصولية والعنف والارهاب ـ دار الكلمة ـ القاهرة ٢٠٠٥.

٣٨ـ عفيف فراج ـ اليهنودية بين حضانة الشرق الثقافية وحضانة الغرب السياسية ـ ط١ ـ دار الآداب ـ بيروت ٢٠٠٢.

٣٩ـ عمانوئيل هيمان ـ في عقر التطرف اليهودي ـ ترجمة سمير دحيان وفوزية ضرار ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ القاهرة ٢٠٠١.

٤٠ـ عبد الخالق عبد الله ـ العولمة جذورها وفروعها ـ عالم الفكر ـ الكويت ١٩٩٩.

٤١ـ علي الصالح مولى ـ الوجود والعدم: دراسة تحليلية نقدية لعلاقة الانا بالآخر ـ مطبعة التسفير ـ صفاقس / تونس ٢٠٠٦.

٤٢ـ غريس هالسل ـ يد الله ـ ط١ ـ ترجمة محمد السماك ـ دار الشروق ـ القاهرة ٢٠٠٠.
٤٣ـ النبوءة والسياسة ـ ترجمة محمد السماك ـ منشورات الدعوة الاسلامية ـ مالطا ١٩٨٩.
٤٤ـ فرانسيس فوكوياما ـ نهاية التاريخ ـ ط١ ـ ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشيخ ـ دار العلوم العربية ـ بيروت ١٩٩٢.
٤٥ـ فرج العشه ـ نهاية الاصولية ومستقبل الاسلام السياسي ـ دار الريس للكتب والنشر ـ بيروت ٢٠٠٩.
٤٦ـ نفيز مصدق احمد ـ الحرب على الحرية ـ الاهلية للنشر والتوزيع ـ عمان / الاردن ٢٠٠٣.
٤٧ـ مجموعة مؤلفين ـ صراع الحضارات أم حوار الثقافات ـ تحرير د. فخري لبيب ـ مطبوعات التضامن ـ القاهرة ١٩٩٧.
٤٨ـ محمد اركون ـ أين هو الفكر الاسلامي المعاصر ـ ط١ ـ ترجمة هاشم صالح ـ دار الساقي ـ بيروت ١٩٩٣.
٤٩ـ مراد هوفمان ـ الاسلام في الالفية الثالثة: ديانة في صعود ـ تعريب عادل المعلم ويس ابراهيم ـ مكتبة الشروق ـ القاهرة ٢٠٠١.
٥٠ـ محمد عارف زكاء الله ـ الدين والسياسة في امريكا ـ ترجمة أمل عينتاني ـ مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ـ بيروت ٢٠٠٧.
٥١ـ محمد حسنين هيكل ـ الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق ـ ط٢ ـ دار الشروق ـ القاهرة ٢٠٠٣.
٥٢ـ محمد السماك ـ الاصولية الانجيلية ـ ط١ ـ مركز دراسات العالم

الاسلامي ـ مصر ١٩٩١.
٥٣ـ محمد علي رحومه ـ الانترنيت والمنظومة التكنواجتماعية ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ٢٠٠٥.
٥٤ـ مصطفى حمدي ـ العولمة آثارها ومتطلباتها ـ ادارة البحوث والدراسات في ديوان ولي العهد ـ ابوظبي / الامارات ١٩٩٧.
٥٥ـ مجموعة من الكتاب الامريكيين ـ العولمة والارهاب: حرب امريكا على العالم ـ ترجمة حمزة البسيوني ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ٢٠٠٢.
٥٦ـ مادلين اولبرايت ـ الجبروت والجبار ـ ترجمة عمر الايوبي ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ٢٠٠٧.
٥٧ـ هانز مورجنتاو ـ السياسة بين الامم ـ ترجمة خيري حماد ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٥.
٥٨ـ هشام جعيط ـ اوربا والاسلام صدام الثقافة والحداثة ـ ط ٢ ـ دار الطليعة العربية ـ بيروت ٢٠٠١.
٥٩ـ هادي قبيسي ـ السياسة الخارجية الامريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ٢٠٠٨.
٦٠ـ ويليام بيري ـ الدفاع الوقائي: ستراتيجية امريكية جديدة للامن ـ ترجمة أسعد سليم ـ مركز الاهرام للترجمة والنشر ـ القاهرة ٢٠٠١.
٦١ـ وهبة كرم وآخرون ـ المعجم الفلسفي ـ ط ٢ ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ١٩٧١.
٦٢ـ يوسف الحسن ـ البعد الديني في السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٩٠.

ثانياً: في اللغة الأنكليزية

الكتب:

١. *Amanda Porter Feld _ The trans formation Of America Religion _ Oxford UP* ٢٠٠١

٢. *Fauaz Gerges _ America and Political Islam _ UP Kambereg _ London* ١٩٩٩.

٣. *Gersham Goremberg __ The End of days: Fundamentalism and the struggler for the tempter Mount _ Free Press* ٢٠٠٠.

٤. *Hartman (and Villanova _ [Editor] Paradigms lost _ The post + cold war Era _ Plutopress _ London* ١٩٩٢.

٥. *Leslie H. Gelb _ Power Rules: How common sense can Rescue American Foreign Policy _ New York _ Harper Collins* ٢٠٠٩.

٦. *Wade Clark Roof _ Spiritual Market place: Baby Booners and American Religion _ Princeton UP* ٢٠٠١.

التقارير:

National Intelligence council [INC] _ Global Trends ٢٠٢٥*: A Transformed world _ November* ٢٠٠٨.

ثالثاً: المجلات والصحف

١ـ مجلة الوحدة ـ العدد (٩٦) الرباط / المغرب ـ ايلول ١٩٩٢.
٢ـ مجلة وجهات نظر ـ العدد (٣٨) القاهرة ـ مارس ٢٠٠٢.
العدد (٤١) - القاهرة - يونيه ٢٠٠٢
العدد (٤٢) ـ القاهرة - يوليو ٢٠٠٢
العدد (٤٩) - القاهرة - فبراير ٢٠٠٣
العدد (٣٣) - القاهرة - اكتوبر ٢٠٠١
٣ـ مجلة المستقبل العربي ـ العدد (٢٢١) بيروت ـ تموز ١٩٩٧.
٤ـ مجلة الوفاق العربي ـ العدد (٢٩) نوفمبر ٢٠٠١.
٥ـ الملف السياسي ـ جامعة بغداد / مركز الدراسات الدولية ـ العدد (٤٨) كانون الثاني ٢٠٠٩.
٦ـ صحيفة الانحاد الاماراتية ـ في ٢١/ ٤/ ١٩٩٧.
٧ـ صحيفة المشرق / بغداد ـ العدد (١٥٠٥) في ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٩

الفهرس

المقدمة..... ٧

الفصل الاول : مفهوم الحوار الحضاري..... ١١

المبحث الاول: حوار الحضارات ١٣

المبحث الثاني: الاسلام والحوار..... ٢١

الفصل الثاني : الاصولية الدينية والسياسية ٣٣

المبحث الاول: الاصولية الاسلامية ٣٥

المبحث الثاني: الاصولية اليهودية..... ٤٥

المبحث الثالث: الاصولية البروتستانتية..... ٥٧

الفصل الثالث: المشروع الامبراطوري الامريكي ٧٣

المبحث الاول: الهيمنة والقوة..... ٧٥

المبحث الثاني: الفوضى الخلاقة ٩٣

الفصل الرابع : الوقائع والافاق ١١١

الخاتمة ١٣٣

المصادر.....١٣٥

الفهرس ١٤٣

Center of Iraq For Studies
مركز العراق للدراسات